

التقرير السياسي لأمريكا اللاتينية للعام 2019



مجموعة من الباحثين
تنسيق د. محسن منجيد

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

التقرير السياسي لأمريكا اللاتينية للعام 2019

تنسيق

د. محسن منجيد

لجنة المراجعة العلمية

د. محسن منجيد، باحث متخصص في شؤون أمريكا اللاتينية - المغرب
د. محمد بوبوش، أستاذ العلاقات الدولية بجامعة محمد الأول بوجدة-المغرب

التقرير السياسي لأمريكا اللاتينية للعام 2019

السنة 2020

الإيداع القانوني: 2020MO0818

ردمك: 978-9920-39-242-6

الإخراج الفني: Mac Sup

المحتويات

- تقديم: عودة الجيش والاحتجاجات الكبرى إلى شوارع أمريكا اللاتينية	
- دبلوماسية التأثير في السياسة الخارجية المغربية إزاء أمريكا اللاتينية	
14	د. محسن منجيد
- تأثير الأزمة الفنزويلية في حركة التوازنات الجيوسياسية العالمية	
27	ثائر طاهر فاضل
- الحركة التشايفية والحركة المضادة لها في ضوء الأزمة الفنزويلية الراهنة	
52	د. محمد نعيبي
- صعود الكنيسة الإنجيلية بأمريكا اللاتينية وتداعياته المحتملة على العلاقات العربية اللاتينية	
68	أحمد بنصالح الصالحي
- صعود وتراجع الأنظمة الشعبوية في أمريكا اللاتينية	
82	عبد الناعم سعيد
- ملخص لتقرير الوضع الاجتماعي في أمريكا اللاتينية خلال سنة 2018	
103	سعيد بنبوكر
- الاستحقاقات الانتخابية في دول أمريكا اللاتينية خلال سنة 2020	
108	

عودة الجيش والاحتجاجات الكبرى إلى شوارع أمريكا اللاتينية

د. محسن منجيد

منسق التقرير السياسي لأمريكا اللاتينية

تصدرت الاحتجاجات الكبرى والعنف المتزايد في شوارع أمريكا اللاتينية واجهة الأحداث التي ميزت هذه المنطقة من العالم خلال سنة 2019. فبسبب الأزمات السياسية في فنزويلا وبوليفيا ونيكاراغوا والرفض الشعبي المتزايد للأداء الاقتصادي والاجتماعي لحكومات الشيلي وكولومبيا والإكوادور، تم تسجيل مواجهات عنيفة بين القوات العمومية وقوات عريضة من المتظاهرين. وقد دفعت هذه الأوضاع الاستثنائية إلى استنجد عدة رؤساء بالجيش لفرض النظام ودعم الاستقرار، وهو ما أعاد إلى الأذهان الذكريات المؤلمة لسنوات الاستبداد وخروقات حقوق الإنسان خلال القرن الماضي.

سنة الاحتجاجات الكبرى في أمريكا اللاتينية

لم تكن الاحتجاجات في الشيلي متوقعة، فهذا البلد يعد الأكثر استقرارا من الناحية السياسية والأكثر انفتاحا اقتصاديا. وقد انتقل الوضع من تظاهرات بسبب رفع ثمن تذاكر النقل العمومي إلى سخط شعبي عام على الحصيلة الاقتصادية والاجتماعية للحكومات المتعاقبة، ولم تهدئ الاحتجاجات رغم برجة استفتاء شعبي في 26 أبريل 2020 حول تعديل دستور البلاد.

إن الشيلي مقبلة على محطة مفصلية في تاريخها المعاصر، حيث من المرتقب أن يؤدي تعديل الدستور إلى وضع تصور جديد لدولة أكثر تضامنا اجتماعيا بما يتوافق مع مطالب جيل شاب لم يعايش الجنرال بينوتشي. ويظهر أن اليسار الذي يطالب بإنشاء جمعية تأسيسية لتعديل الدستور قد يكون مؤثرا أكثر من

اليمين على مجريات الأحداث السياسية في البلاد¹، فقد استطاع اليسار التفاعل بشكل إيجابي مع الاحتجاجات في الشيلي، بينما ظهر اليمين الحاكم بيد حديدية لوضع حد للتظاهرات تسببت في سقوط قتلى وتسجيل انتهاكات لحقوق الإنسان². عرفت بوليفيا كذلك إضرابا عاما واحتجاجات كبرى ردا على عدم احترام الرئيس السابق إيفو موراليس لنتائج الانتخابات الرئاسية، فقد تم إعلانه فائزا في الانتخابات في الوقت الذي كانت تشير فيه النتائج إلى ضرورة إجراء جولة ثانية ضد منافسه كارلوس ميسا.

ظن موراليس الذي كان مدفوعا برغبة كبيرة في البقاء في السلطة أنه يستطيع تهدئة الوضع وتجاوز الأزمة، لكن انضمام الجيش والقوات العمومية لمطالب الشارع، اضطر موراليس للاستقالة واللجوء إلى المكسيك ثم إلى الأرجنتين، ورغم كل ذلك ما زال موراليس يحظى بتأييد مناصريه من حزب حركة نحو الاشتراكية الذي يترأسه، ويقود من العاصمة الأرجنتينية استعدادات حزبه للانتخابات الرئاسية والتشريعية المزمع إجراؤها في 3 ماي 2020³.

ومنذ 12 نونبر 2019 تتحمل جيانين أنييز نائبة رئيس مجلس الشيوخ البوليفي مهمة الرئاسة المؤقتة للبلاد بعد استقالة إيفو موراليس، وتحاول بدعم من حزب الديمقراطيين المنتمية إليه تشكيل جبهة موحدة في الانتخابات المقبلة. ورغم عدم استطاعة موراليس الترشح في الانتخابات الرئاسية المقبلة بسبب صدور حكم بإلقاء القبض عليه، لكن استطلاعات الرأي تعطي تقدما لحزبه حركة نحو الاشتراكية. وأي كان رئيس بوليفيا خلال سنة 2020 فإنه سيواجه تحدي توحيد البلاد والمطالب الاجتماعية المتزايدة للشعب البوليفي.

ومنذ 12 نونبر 2019 تتحمل جيانين أنييز نائبة رئيس مجلس الشيوخ البوليفي مهمة الرئاسة المؤقتة للبلاد بعد استقالة إيفو موراليس، وتحاول بدعم من حزب الديمقراطيين المنتمية إليه تشكيل جبهة موحدة في الانتخابات المقبلة. ورغم عدم استطاعة

1. ¿Cuáles son los riesgos de cambiar la Constitución de Chile?, 31/12/2019, disponible sur <https://es.panampost.com>

2. Chili, Amnesty International dénonce les violations des droits humains devant la Commission interaméricaine des droits de l'homme, 11/11/2019, disponible sur <https://www.amnesty.org/>

3. Evo Morales y dirigentes de su partido empiezan a definir campaña electoral, 29/12/2019, disponible sur <https://www.elcomercio.com/>

موراليس الترشح في الانتخابات الرئاسية المقبلة بسبب صدور حكم بإلقاء القبض عليه، لكن استطلاعات الرأي تعطي تقدما لحزبه حركة نحو الاشتراكية¹. وأي كان رئيس بوليفيا خلال سنة 2020 فإنه سيواجه تحدي توحيد البلاد والمطالب الاجتماعية المتزايدة للشعب البوليفي.

وتعيش نيكاراغوا على وقع مظاهرات شعبية مستمرة ضد نظام دانييل أورتيغا، لم تشهد البلاد مثيلا لها منذ الثورة السandinية لسنة 1979. وقد خلفت هذه الأزمة السياسية مئات القتلى والمعتقلين والنازحين إلى دول الجوار، ولم تفلح محاولات إيجاد حلول لهذه الأزمة رغم الوساطة والضغطات الدولية على الرئيس أورتيغا، فقد رفض هذا الأخير إجراء انتخابات رئاسية سابقة لأوانها مفضلا إحكام قبضته على الحكم إلى غاية نهاية ولايته سنة 2021.

وسواء في الأمثلة السابقة أو في كولومبيا والإكوادور، فإن تدهور الوضع الاقتصادي والاجتماعي والاستياء من النخب السياسية الحاكمة تعد العوامل المشتركة لهذه الاحتجاجات، ذلك أن النمو في المنطقة سجل أقل من واحد في المائة سنة 2019، مما جعل الحكومات عاجزة عن تلبية الحاجات المتزايدة لشعبها، كما زادت فضائح الفساد المتتالية في إثارة غضب الشارع ضد النخب السياسية.

وفي نفس السياق، أظهرت الانتخابات الرئاسية التي عرفتها كل من الأرجنتين والأوروغواي خلال سنة 2019 حصول تغيير جديد في دورات الحكم السياسية في أمريكا اللاتينية. فقد عاد التيار اليساري للحكم في الأرجنتين خلفا لحكومة يمينية لم تستجب لمطالب الشارع، حيث انتخب ألبرتو فرنانديز رئيسا جديدا للبلاد وكريستينا كيرشمر الرئيسة السابقة للأرجنتين في منصب نائبة للرئيس. وفي الأوروغواي، قاد لويس لاکاي بو تحالفا يمينيا للفوز بالانتخابات ضد التحالف اليساري للجهة الموسعة الذي هيمن على المشهد السياسي في الأوروغواي لمدة عشر سنوات متتالية.

1. Ciesmori perfila al candidato del MAS como ganador en encuesta, 02/01/2020, disponible sur <https://www.paginasiete.bo/>

عودة الجيش إلى المشهد السياسي في أمريكا اللاتينية

عادت إلى شوارع أمريكا اللاتينية خلال سنة 2019 مشاهد من سنوات القهر والاستبداد التي عاشتها المنطقة خلال حكم الأنظمة الدكتاتورية. فطلب من عدد من الرؤساء خرجت القوات المسلحة من ثكاتها لفرض النظام والاستقرار. فأمام تدهور الوضع في الشيلي، حاول الرئيس سيباستيان بينيرا فرض النظام من خلال استدعاء القوات المسلحة الشيلية بعد إعلان حالة الاستثناء، حيث انتشر 20 ألف عنصر من الجيش في شوارع 9 جهات في البلاد.

وفي البيرو ظهر الرئيس مارتين فيسكارا في اجتماع يتلقى فيه دعم قادة الجيش بعد صراع سياسي طويل مع مكونات المؤسسة التشريعية البيروفية. وأياما قليلة بعد ذلك، توجه الرئيس لينين مورينو بعد إعلان حالة الاستثناء في الإكوادور، إلى وسائل الإعلام وهو محاط بقادة القوات المسلحة من أجل إبراز دور الجيش في إعادة الهدوء للبلاد. وإن كانت القوات المسلحة تشكل سدا منيعا ضد سقوط نظام الرئيس نيكولاس مادورو في فنزويلا، فإن الجيش البوليفي تدخل لإجبار الرئيس إيفو موراليس عن الاستقالة ومغادرة البلاد.

وإن كانت المكسيك لم تشهد احتجاجات مثل باقي دول المنطقة، فإن الرئيس مانويل لوبيز أوبرادور أنشأ في مارس 2019 فرقة للحرس الوطني من أجل حل مشاكل الجريمة وإيقاف أفواج المهاجرين القادمين من جنوب المكسيك والقاصدين الولايات المتحدة الأمريكية. وقد تعرض الرئيس أوبرادور لانتقادات شديدة بسبب إسناد تدير فرقة الحرس الوطني للجيش وهو ما اعتبرته عدة جمعيات حقوقية وطنية ودولية بتسليح للأمن العمومي في المكسيك.

أما في البرازيل، فلا يخفي الرئيس جاير بوسونارو تعاطفه مع المؤسسة العسكرية، فقد كان بدوره ضمن فرقة المظليين في القوات البرازيلية، وهو اليوم محاط في حكومته بعناصر من الجيش وعلى رأسهم الجنرال المتقاعد هاميلتون موراو الذي يشغل منصب نائب رئيس البلاد.

وتطرح حاليا عدة تساؤلات حول إمكانية تكرر حالات اللجوء إلى الجيش من أجل مساعدة الحكومات في مهام مدنية وإنقاذ الحكومات التي تواجه الاحتجاجات، فمن غير المستبعد أن ينتهي الوضع بتسييس المؤسسة العسكرية، حيث سيتغير موقع ودور الجيش داخل البلاد من حماية الحدود ضد العدو الخارجي إلى طرف مدافع عن الأمن الداخلي.

التقرير السياسي للعام 2019

يهتم التقرير السياسي لأمريكا اللاتينية للعام 2019 بشكل خاص بالأزمة الفنزويلية، وذلك من خلال تسليط الضوء على طبيعة العلاقات بين فنزويلا والقوى العظمى ومدى تأثير التنافس الدولي على الصراع في فنزويلا وانعكاساته على حركة التوازنات الجيوسياسية الدولية، ومن وجهة نظر سوسيولوجيا الحركات الاجتماعية يحلل التقرير التدافعات الاجتماعية الداخلية بين الحركة التشافيزية والحركة المضادة لها في ضوء الأزمة الفنزويلية الراهنة والتحديات الداخلية التي تواجهها.

كما يساهم التقرير في دراسة التأثير السياسي المتزايد للكنيسة الإنجيلية في عدة دول من أمريكا اللاتينية، وذلك بإبراز وزنها في الاستحقاقات الانتخابية الرئاسية والتشريعية وقدرتها على استقطاب فئات عريضة من الناخبين، ومدى قدرة هذه الكنيسة على التأثير في مستقبل علاقات دول أمريكا اللاتينية مع العالم العربي. وتفاعلا مع تراجع الأنظمة الشعبوية في أمريكا اللاتينية يقدم التقرير ورقة حول صعود وتراجع الأنظمة الشعبوية التي مرت منها المنطقة، ومقارنة مختلف أشكالها بين شعبية كلاسيكية وشعبوية نيوليبرالية وصولا إلى أزمة الشعبوية الاشتراكية للقرن 21.

وفي محور علاقات المغرب مع دول أمريكا اللاتينية، يقدم التقرير ورقة حول الآليات الدبلوماسية التي ساهمت في تراكم نجاحات المغرب في المنطقة، وجهوده المتواصلة للتأثير في السلوك الخارجي لدول أمريكا اللاتينية حول قضية الصحراء المغربية.

دبلوماسية التأثير في السياسة الخارجية المغربية إزاء أمريكا اللاتينية

د. محسن منجيد

باحث متخصص في شؤون أمريكا اللاتينية

في ظل بيئة دولية غير مستقرة، تتزايد رغبة الدول في استغلال مختلف الفرص الممكنة لتحقيق مصالحها الوطنية من خلال الاعتماد على القوة الناعمة¹ بدل القوة الصلبة، فقد أصبحت مصادر القوة في العلاقات الدولية لا تقتصر على القوة المادية بل تشمل كذلك القوة اللامادية كعامل للتأثير وتحقيق المصالح الإستراتيجية. وتعتبر دبلوماسية التأثير إحدى عناصر السياسة الخارجية التي تقوم على القوة اللامادية، فهي تحيل على الجهود التي تبذلها الدول من أجل تقوية حضورها وبناء نفوذها على المستوى الدولي. كما تعتمد دبلوماسية التأثير على آليات غير تقليدية وتتجاوز استهداف القادة السياسيين لتستقطب المشرعين والمجتمع المدني ورجال الأعمال والمفكرين والشخصيات المؤثرة في الرأي العام²، وكل ذلك بهدف تعزيز جاذبية الدولة، وإشاعة سمعة إيجابية حولها وتصدير وجهة نظرها نحو العالم بما يخدم مصالحها³.

ومن خلال تتبع الممارسة المغربية، يلاحظ أن الدبلوماسية الوطنية تنهج أسلوب التأثير من أجل بلوغ أهدافها، كما يعمل المغرب على تعزيز صورته وحضوره الدولي، ويرسخ تميزه على المستوى الجهوي والقاري، ويرفع مستوى اهتمامه بالقضايا المحورية في الأجندة الدولية كالبيئة والتنمية والهجرة ومكافحة الإرهاب.

وفي إطار دفاعها عن قضية الصحراء المغربية، تتجاوز دبلوماسية التأثير الوطنية فضاءات الجوار الجغرافي، لتعبر المحيط الأطلسي قاصدة أمريكا اللاتينية، حيث حقق المغرب نجاحات متتالية منذ عشرين عاما.

1. يرجع مصطلح القوة الناعمة إلى أفكار جوزيف ناي ويقصد بها قدرة بلد معين على التأثير في بلدان أخرى وتوجيه خياراتها العامة، وذلك استنادا إلى جاذبية نظامها الاجتماعي والثقافي ومنظومة قيمها ومؤسساتها بدل الاعتماد على الإكراه أو التهديد. وهكذا فإن الدول التي تتمتع بتأثير أكبر وجاذبية كافية غالبا ما تكون في وضع أفضل، حيث يطمح الآخرون للسير على منوالها وتقليدها، مما يسمح لها بتوجيههم والتحكم في أفكارهم دون حاجة لاستخدام الجيوش واستعمال الأسلحة.

2. Nicolas TENZER: La diplomatie d'influence sert-elle à quelque chose ?, Revue Internationale et Stratégique, n° 89, 2013, pages 77 à 82, disponible sur <https://www.cairn.info/revue-internationale-et-strategique-2013-1-page-77.htm>

3. Amine DAFIR, La diplomatie d'influence au service des intérêts économiques : le cas du Maroc, Revue Géoeconomie, n° 75,

وتطمح هذه الدراسة إلى المساهمة في تسليط الضوء على الآليات الدبلوماسية التي ساهمت في تراكم نجاحات المغرب في أمريكا اللاتينية، وذلك من خلال الإجابة على إشكالية كيفية توظيف المغرب لدبلوماسيته من أجل التأثير في السلوك الخارجي لدول أمريكا اللاتينية حول قضية الصحراء؟.

المبحث الأول: الآليات الدبلوماسية الماثرة في أمريكا اللاتينية

أولاً: الدبلوماسية البرلمانية لاستقطاب النخب السياسية

وعيا منه بقدرة النخب السياسية على التأثير في القرارات السياسية الداخلية منها والخارجية، يساهم البرلمان المغربي من خلال مجموعة من الأنشطة الدبلوماسية في الانفتاح على النخب السياسية في أمريكا اللاتينية. فإلى وقت قريب كانت المؤسسات التشريعية منصة متميزة لدعم الانفصاليين في هذه المنطقة من العالم. فقد كانت البرلمانات تصدر توصيات تدعم الجمهورية الصحراوية المزعومة وتضغط على حكومات دولها للاعتراف بالبوليزاريو، لكن هذا الوضع قد تغير بشكل كبير.

فبفضل دبلوماسية نشيطة واستقطاب مكثف لرؤساء البرلمانات والوفود البرلمانية من أمريكا اللاتينية، استطاع البرلمان المغربي رفع مستوى تواصله مع النخب السياسية في المنطقة، وتعريفهم بقضية الصحراء من خلال تنظيم زيارات للمغرب وأقاليمه الجنوبية.

فكان من نتائج الدبلوماسية البرلمانية حصول تغيير كلي في توجهات المؤسسات التشريعية الأمريكية اللاتينية. حيث توالى خلال السنوات الأخيرة التوصيات البرلمانية الداعمة لمقترح الحكم الذاتي المغربي وجهوده من أجل إيجاد حل نهائي للنزاع المفتعل حول الصحراء.

وبالإضافة إلى ذلك، تمكنت اليوم عدة شخصيات من النخب السياسية المتميزة التي استقطبها المغرب من بلوغ أعلى مناصب القرار في دولها، كما هو

الشأن بالنسبة لرئيس الباراغواي¹ الحالي ماريو أبدو بينيتيز. فقد سبق لهذا الأخير، المنتمي لحزب كولورادو Colorado اليميني، أن زار المغرب عندما كان رئيسا للجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ بالباراغواي، ومن المستبعد خلال فترة حكمه اتخاذ أي قرار سلمي حول قضية الصحراء خاصة بعد الشروحات المستفيضة التي قدمت له من طرف كبار المسؤولين خلال تواجده بالمغرب.

كما تقلد عدد من البرلمانيين من أصدقاء المغرب مناصب وزارية في حكومات بلدانهم بأمريكا اللاتينية، وهو مؤشر إضافي على نجاح الدبلوماسية البرلمانية في استقطاب الشخصيات السياسية المؤثرة في المنطقة.

وفي نفس السياق، عزز البرلمان المغربي حضوره داخل المنظمات البرلمانية الجهوية في أمريكا اللاتينية، حيث استطاعت المؤسسة التشريعية المغربية الحصول على صفة عضو ملاحظ داخل برلمان أمريكا اللاتينية وبرلمان أمريكا الوسطى وبرلمان مجموعة دول الأنديز ومنتدى رؤساء برلمانات أمريكا الوسطى والكارايب، وكما تغيرت مواقف البرلمانات الوطنية خلال السنوات الأخيرة، تغيرت كذلك مواقف هذه المنظمات الجهوية إيجابيا من قضية الصحراء المغربية.

ثانيا: الدبلوماسية التضامنية لكسب الصداقات

من خلال مبادرات دولية جماعية، تعمل الدبلوماسية التضامنية على إيجاد حل لنزاع داخلي أو دولي، كالمهام الأمية لدعم الاستقرار والمساهمة في تنمية بعض الدول المنهكة². كما تعمل الدبلوماسية الإنسانية في نفس الإطار على تسهيل العمل الإنساني في مجمله من خلال توفير الدعم الطبي والغذائي لتلبية الحاجات المستعجلة في حالات معينة كالكوارث الطبيعية³.

وعلى غرار المساعدات الإنسانية والتضامنية التي يقدمها المغرب لعدد من الدول الإفريقية الصديقة والتي تبلغ حوالي 300 مليون دولار سنويا⁴، يرسل

1. زار ماريو أبدو بينيتيز المغرب في يوليو 2016 بدعوة من البرلمان المغربي، ضمن وفد ترأسه رئيس مجلس شيوخ الباراغواي الباراغواي-تجدد-التأكيد-على-دعمها-للوحدة-الترابية-للمملكة/أخبار/ <http://www.maroc.ma/ar>

2. Diplomacia solidaria, 05/08/2008, disponible sur <https://www.folhadelondrina.com.br>

3. Michel VEUTHE : Diplomatie humanitaire, préserver les chances de la diplomatie humanitaire au moment où elle est la plus nécessaire, 2/10/2011, disponible sur <https://www.diploweb.com>

4. كما ألقى المغرب سنة 2000 ديون البلدان الإفريقية الأقل نمواً وأغنى منتجاتها الموجهة للسوق المغربية من الرسوم الجمركية، Direction des Etudes et des Prévisions Financières : Relations Maroc-Afrique : l'ambition d'une « nouvelle frontière », publication du Ministère de l'Economie et des Finances du Maroc, juillet 2015, p7.

المغرب مساعدات تضامنية لفائدة عدة دول من أمريكا اللاتينية. وتقدم هذه المساعدات غالبا على إثر وقوع كوارث طبيعية كالزلازل والأعاصير، وتتضمن هذه المساعدات أدوية ومنتجات غذائية وخيما وأغطية وغيرها من المواد الأساسية والأولية. وبالنسبة للمساعدات التنموية فهي تشمل بشكل خاص الجوانب الاجتماعية، كدعم برامج الاندماج الاجتماعي للفئات الهشة.

نماذج من المساعدات التضامنية مع دول أمريكا اللاتينية

الدولة	المساعدات	السنوات
هايتي	إرسال وحدة من القبعات الزرق للمشاركة في حفظ السلام	2004
	مساعدات بعد الزلزال	2010
	شحنة من الأدوية لفائدة المرضى لمواجهة وباء الكوليرا	2011
	بعثات إنسانية	2008-2013
	مشاريع تنموية	2011 2012-2013
نيكاراغوا	هبة مالية إثر إعصار ميتش	1998
الهندوراس	دعم لوزارة خارجية الهندوراس على شكل تجهيزات إلكترونية	2010
	دعم موجه للشركات العائلية الصغيرة	
	التضامن في حالة الكوارث الطبيعية	
السلفادور	هبة تتضمن مواد غذائية موجهة للأسر المنكوبة بسبب الإعصار الاستوائي	2012
	هبة مالية لبرنامج الإدماج الاجتماعي والثقافي	2010
الباراغواي	مساعدة إنسانية عاجلة على إثر الفيضانات بسبب ظاهرة النينيو	2016
	منحة لتعزيز الشبكة الصحية الأولية بالمناطق الفقيرة	2018
إنجاز خاص بناء على قصاصات الصحف الورقية والإلكترونية من المغرب وأمريكا اللاتينية		

وتشير مختلف البلاغات الصادرة عن وزارة الخارجية بخصوص الهبات والمساعدات الموجهة لأمريكا اللاتينية إلى أنها تدخل في إطار التعاون جنوب-جنوب، والتضامن والمساعدة على مواجهة الظروف الصعبة التي تمر منها الشعوب الصديقة.

وبالنظر لأهمية هذه المساعدات في كسب الصداقات عبر العالم، ترصد عدة دول ميزانية سنوية خاصة توجه للمساعدات الدولية، وبالنسبة للمغرب تعتبر الوكالة المغربية للتعاون الدولي الآلية المسؤولة عن تنفيذ وتبعية المساعدات الموجهة للدول الصديقة.

الوكالة المغربية للتعاون الدولي: الذراع التنفيذي لدبلوماسية التأثير المغربية نحو أمريكا اللاتينية

أنشأت الوكالة المغربية للتعاون الدولي (Agence Marocaine de Coopération Internationale) سنة 1986، كآلية ديناميكية مرنة وفعالة في تنفيذ سياسة التعاون الخارجي للمغرب، وتدير الوكالة أعمالها بتنسيق مع وزارة الشؤون الخارجية. كما تقوم الوكالة كذلك بعقد شراكات مع الوزارات والمؤسسات الحكومية، وتولى مهمة متابعة المشاريع ذات الطابع العلمي والاقتصادي والأعمال الإنسانية التي يتكفل بها المغرب تجاه دول أخرى. كما تشرف الوكالة على تطوير وتوسيع وتعميق جميع علاقات المغرب الثقافية والعلمية والتقنية والاقتصادية مع دول العالم وبشكل خاص مع دول الجنوب. وحسب الوكالة المغربية للتعاون الدولي فإن مجالات عملها تغطي 111 دولة عبر العالم، من بينها 46 دولة من إفريقيا، وأغلب دول أمريكا اللاتينية.

المصدر: <http://www.amci.ma>

ثالثا: الإشعاع المتزايد للدبلوماسية الثقافية نحو أمريكا اللاتينية

لقد اهتمت عدة دول في العالم بالدبلوماسية الثقافية كشكل من أشكال الدبلوماسية العامة من أجل تعزيز مكانتها وسمعتها على المستوى الدولي. ويتجاوز مفهوم الدبلوماسية الثقافية مسألة التبادل الثقافي إلى تقديم ثقافة الوطن وإبداعات أبنائه وقيم المجتمع وتراثه¹.

ومن خلال الأفكار ونشر الدراسات وتجميع الباحثين المتخصصين، أصبحت مراكز التفكير منصة للتواصل والبحث عن المشترك الثقافي وفهم الآخر لتتبعاً مقعد الفاعل المؤثر في السياسة والاقتصاد والمجتمع ككل. وترجع أولى تجارب مراكز التفكير إلى الثقافة الأنجلو-سكسونية، وبشكل متميز إلى الولايات المتحدة الأمريكية، لكنها اتسعت لتشمل مختلف دول العالم بدرجات متفاوتة.

وفي المغرب، ظهر خلال السنوات الأخيرة مركز السياسات من أجل الجنوب الجديد (The Policy Center for the New South) كفضاء للتفكير يهتم بتحليل التحديات الجيوسياسية والاقتصادية الدولية، والقضايا الإفريقية والسياسات العمومية، ويعمل على تطوير مفهوم الجنوب الجديد كطرف منفتح مسؤول ومبادر².

احتل مركز السياسات من أجل الجنوب الجديد خلال سنة 2018، حسب تصنيف جامعة بنسلفانيا لمراكز التفكير في العالم، الرتبة الثامنة كأحسن مركز للتفكير في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، والرتبة الأولى في المغرب والمغربي العربي، ويعكس هذا الترتيب الاعتراف الدولي بالمركز ضمن أكثر من 8200 مركز للتفكير في العالم. وحتى على مستوى تنظيم المؤتمرات، احتل المركز الرتبة 16 عالمياً، فقد دأب على تنظيم مؤتمرات دولية متميزة على رأسها مؤتمر الحوارات الأطلسية والمؤتمر العالمي للسياسة وقة مراكز التفكير الإفريقية.

ويوجه هذا المركز اهتمامه بشكل كبير نحو إفريقيا، لكن أمريكا اللاتينية حاضرة بقوة في أنشطته السنوية ومنشوراته، فقد قام من جهة بربط شبكة

1. محمود علم الدين، توظيف القوة الناعمة المصرية في دعم الأمن والسلام الإفريقيين، مجلة السياسة الدولية، عدد 216، أبريل 2019، ص 87.
2. حمل هذا المركز خلال بداياته سنة 2014 اسم مركز السياسات للكتاب الشريف للفوسفاط، حيث كان يمثل القطب الفكري لمجموعة المكتب الشريف للفوسفاط التي تقبل أنشطته، لكنه مع نهاية سنة 2018 غير من تسميته ليصبح مركز السياسات من أجل الجنوب الجديد، كما غير كذلك إطاره القانوني ليصبح جمعية مدنية، متوفر على الموقع التالي <https://www.policycenter.ma>.

علاقات مع أهم مراكز التفكير في أمريكا اللاتينية وخصوصا البرازيل، ويقوم من جهة أخرى بتنظيم المؤتمر الدولي للحوارات الأطلسية الذي تحضره شخصيات متميزة من السياسيين كرؤساء دول سابقين ووزراء حاليين، وشخصيات فاعلة من عالم المال والأعمال، وأكاديميين وباحثين من مراكز التفكير في أمريكا اللاتينية.

نوعية الجهات والشخصيات المشاركة من أمريكا اللاتينية والكارايب
في المؤتمر الدولي للحوارات الأطلسية ما بين 2012 و2019

البلد	مراكز التفكير	الجامعات	الشخصيات السياسية والحكومية	شخصيات اقتصادية واجتماعية	الشخصيات الإعلامية
البرازيل	10	1	9	4	5
المكسيك	3	2	3	2	
الأرجنتين	2	1	4	2	
الشيلي	1	1	2		
كولومبيا			1	2	1
فنزويلا	1	1			
الأوروغواي			1		
كولومبيا			1	1	
البيرو		1			
كوستاريكا			2		
جمهورية الدومينيكان			2	1	
الإكوادور			2		
كوبا	2				
السلفادور			1		
بوليفيا			2		
جامايكا			2		
سورينام			1		
ترينيداد وتوباغو		1	1	1	
سانت لوسيا			1		
سانت كريس ونيفيس			2		
منظمات جهوية			3		

إنجاز خاص بناء على المعطيات المتوفرة على موقع المركز: <https://ad.policycenter.ma>

كما يستقطب معهد أمادوس¹ (AMADEUS)، ثالث أهم مركز للتفكير في المغرب، شخصيات سياسية من أمريكا اللاتينية، حيث ينظم المعهد كل سنة منتدى MEDays بمدينة طنجة، وهو تظاهرة دولية كبرى تشارك فيها شخصيات سياسية مؤثرة ومرموقة من القارات الخمس. ومنذ دورته الأولى سنة 2011، يشكل هذا المنتدى أحد أهم التظاهرات الإشعاعية الكبرى بالمغرب. وإلى غاية دورة سنة 2019 استضاف MEDays سبع شخصيات سياسية متميزة من أمريكا اللاتينية، من بينهم رئيسين سابقين.

من خلال تنظيم تظاهرات فكرية دولية كبرى، واستقطاب كبار الشخصيات السياسية والاقتصادية والأكاديمية والمدنية، أصبحت مراكز التفكير فاعلا ومؤثرا في دعم الإشعاع المغربي فكريا ودبلوماسيا، وتساهم في تسويق المغرب على المستوى الجهوي والقاري والدولي كوجهة منفتحة وعصرية تستقطب كبار الشخصيات من أمريكا اللاتينية والكارايب والعالم.

وقد استطاع المغرب اعتمادا على الجانب الثقافي التقرب من أمريكا اللاتينية بفضل اللغة الإسبانية والإرث الثقافي الأندلسي المشترك. ويستطيع المغرب دعم إشعاعه بشكل أكبر في أمريكا اللاتينية من خلال تسويق صورته بجد التسامح والتعايش بين الحضارات، وقد ساهمت زيارة بابا الفاتيكان فرانسيس للمغرب سنة 2019 في إشعاع صورة متميزة حول الدبلوماسية الدينية للمغرب.

كما يمكن إنشاء مراكز ودور ثقافية أكثر في أمريكا اللاتينية على غرار مركز محمد السادس لحوار الحضارات بالشيلي الذي شيد سنة 2007 بمدينة كوكيمبو. ويمكن كذلك دعم المنصات الإعلامية الناطقة بالإسبانية.

وإلى جانب الإشعاع الثقافي، تساهم مختلف المؤتمرات المنظمة على أرضه في دعم إشعاع المغرب كدولة نشيطة وجديرة بالثقة على المستوى الدولي. ومن خلال تتبع العديد من المؤتمرات الدولية التي يحتضنها المغرب، مثل مؤتمر المناخ (كوب22) وقمة الهجرة، يلاحظ حضور مسؤولين كبار من أمريكا اللاتينية منهم من يزور المغرب لأول مرة. ويشكل حضور رؤساء الدول والحكومات

1. Global Go To Think Tank Index Report 2018, disponible sur https://repository.upenn.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=1017&context=think_tanks

ووزراء الخارجية فرصا لإجراء لقاءات موازية مع نظرائهم من المسؤولين المغاربة للباحث حول تطوير العلاقات الثنائية بشكل خاص.

رابعا: دبلوماسية احترافية في الإدارة المركزية والسفارات بأمريكا اللاتينية

وإلى جانب مختلف أشكال الدبلوماسية التي تمت الإشارة إليها، يبقى للإدارة المركزية في الرباط دور مهم في تأطير ومواكبة الأنشطة الرسمية الموجهة لأمريكا اللاتينية، ومن هذا المنطلق تمت إعادة هيكلة وزارة الشؤون الخارجية للتوافق مع تزايد دور الفاعلين غير الحكوميين في الدبلوماسية المغربية، حيث أنشأت سنة 2011 مديرية جديدة تعنى بمختلف أشكال الدبلوماسية الموازية، وهي مديرية الدبلوماسية العامة والفاعلين غير الحكوميين. وقد أنيطت بهذه المديرية مهمة تقوية التفاعل مع البرلمان والأحزاب السياسية والمجتمع المدني ومجموعات التفكير والجامعات وذلك بالنظر للمساهمة المتزايدة للدبلوماسية العامة في مواكبة السياسة الخارجية الوطنية.

ومن أجل توفير موارد بشرية كفئة وقادرة على التفاعل مع المتغيرات والمنافسة الدولية، وإلى جانب إذكاء روح الإبداع والتواصل والتنظيم، تم إنشاء الأكاديمية المغربية للدراسات الدبلوماسية التي تسهر على تكوين أفواج الدبلوماسيين الجدد¹. ومن المرتقب أن تتطور الأكاديمية لتصبح مركزا للبحث والدراسة ووضع الاستراتيجيات. كما ساهمت الرسالة الملكية الموجهة للمشاركين في ندوة سفراء المغرب سنة 2013 في تأطير عمل رؤساء البعثات الدبلوماسية المغربية بالخارج. حيث عرضت الرسالة لأبرز المهام المنوطة بالسفراء كالترويج للنموذج المغربي، وإعطاء الأولوية لدبلوماسية اقتصادية في إطار التشاور والتنسيق مع مختلف الفاعلين الاقتصاديين، وكذا إعطاء الدبلوماسية الثقافية ما تستحقه من دعم وتشجيع².

ويلاحظ خلال الفترة الأخيرة انفتاح متزايد للسفارات المغربية في أمريكا اللاتينية على وسائل الإعلام بهدف الترويج للمغرب وتوضيح وجهات نظره والتعريف بسياسته نحو القضايا الدولية.

1. يوسف العمراني (الوزير المنتدب لدى وزير الشؤون الخارجية والتعاون) ل«التجديد»: الدينامية التي تشهدها المنطقة المغربية ستحدث تقدما في ملف الصحراء <https://www.maghress.com/attajdid/72427>

2. نص الرسالة السامية لصاحب الجلالة الملك محمد السادس إلى المشاركين في ندوة سفراء جلالته، 30 غشت 2013، متوفر على الرابط التالي <http://www.maroc.ma>

ويعتبر الحضور الدبلوماسي المتزايد في المنطقة عاملا أساسيا في إسماع صوت المغرب، فقد تعززت التغطية الدبلوماسية في أمريكا اللاتينية بفتح سفارات جديدة في بانما والباراغواي وغواتيمالا وكوبا، ليصل عدد التمثيلات المغربية في المنطقة إلى 11 سفارة، إلى جانب تمثيلية في سانت لوسيا تغطي منطقة الكارايب.

المبحث الثاني: الآليات الدبلوماسية الجديدة للترويج للمغرب في أمريكا اللاتينية

أولا: التكوين من أجل الترويج للخبرة المغربية في أمريكا اللاتينية

بناء على اتفاقيات التعاون الثنائية التي وقع عليها المغرب مع الدول الصديقة، تقدم الوكالة المغربية للتعاون الدولي منحا للطلبة من أجل استكمال دراستهم العليا في المغرب، فقد وصل عدد المستفيدين من هذه المنحة إلى 14 ألف طالب برسم السنة الجامعية 2019-2020، من بينهم 12 ألف طالب إفريقي¹.

ويعتبر استقطاب الطلبة والمتكولين من أمريكا اللاتينية استقطابا للنخب الإدارية، فبحكم البعد الجغرافي عن المغرب تصبح هذه الفئة بمثابة سفراء للبلد المستضيف، حيث تحسن لديهم صورة المغرب، وتكون لديهم رغبة في العودة إليه واستهلاك منتجاته، وكذا تشجيع فئات أخرى على متابعة الدراسة أو التكوين في المغرب.

وبموجب الاتفاقيات الثنائية، تنظم الأكاديمية المغربية للدراسات الدبلوماسية بتعاون مع الوكالة المغربية للتعاون الدولي الدورة الدولية للتكوين في الدبلوماسية يستفيد منها أطر وزارات الخارجية من عدة دول. وكمثال على ذلك استفاد دبلوماسيون من 7 دول من أمريكا اللاتينية من هذه الدورة التكوينية نهاية سنة 2018، وهي الأرجنتين والشيلي وكولومبيا وغواتيمالا والبيرو والمكسيك والسلفادور²، كما استفاد من نفس الدورة 15 إطارا من وزارة خارجية سورينام³.

1. تصريح مدير الوكالة المغربية للتعاون الدولي بمناسبة الدورة الثامنة لقمعة الطلبة والشباب في إفريقيا الذي انعقد بالرباط ما بين 20 و 23 دجنبر 2019. <https://twitter.com/MarocDiplomatique/status/1208797203671769089>

2. Clôture du Cycle international de formation au profit de diplomates d'Amérique latine, 05/10/2018, disponible sur <https://lematin.ma>

3. Cérémonie de clôture du Cycle International de la Formation en Diplomatie au profit de cadres du Suriname à l'AMED,

وتهتم هذه الدورة بتطوير الخبرات في مجال الدبلوماسية الاقتصادية لفائدة الدبلوماسيين، حيث تشمل التعرف على النظام الاقتصادي المغربي وتاريخه ووحدته الترابية والاستراتيجية الوطنية في مجال الطاقات المتجددة وتجارب التنمية البشرية، كما تنظم زيارات لعدد من المدن المغربية بما فيها الأقاليم الجنوبية. كما تنظم مؤسسات مغربية مختلفة دورات تكوينية لفائدة أطر من أمريكا اللاتينية في إطار التعاون مع الوكالة المغربية للتعاون الدولي، كما هو الشأن بالنسبة للدورة التكوينية الدولية لأطر الإدارات الجمركية التي استفادت منها أطر من جمهورية هايتي¹.

ثانيا : الدبلوماسية الرقمية لإسماع صوت المغرب في أمريكا اللاتينية

في عصر ثورة التكنولوجيا والمعلومات والاتصالات، تلجأ دبلوماسية التأثير إلى المجال الرقمي بشكل متزايد للتواصل مع الجمهور عبر التطبيقات والمواقع والشبكات الاجتماعية. وتعد وزارة الخارجية الفرنسية أول مؤسسة وطنية تفتح حسابا على تويتر سنة 2009². ويعتبر تقرير الإستراتيجية الرقمية لوزارة الشؤون الخارجية والكومنولث للمملكة المتحدة أنه من خلال شبكة الأنترنت يمكن الاستماع والنشر والمشاركة والتقييم بطرق جديدة ومثيرة للاهتمام، كما يمكن توسيع نطاق الوصول والتواصل مباشرة مع المجتمع المدني وكذلك الحكومات والأفراد المؤثرين³. وقد التحقت وزارة الخارجية المغربية مؤخرا بركب الدبلوماسية الرقمية، حيث فتحت حسابا على تويتر وفيسبوك سنة 2019 بثلاث لغات العربية والفرنسية والإنجليزية، كما أصبح لعدة تمثيلات دبلوماسية في الخارج حسابات على شبكات التواصل.

ويحتاج الموقع الرسمي لوزارة الخارجية إلى تحيين بشكل مستمر وإضافة اللغة الإسبانية من أجل توجيه محتواه بشكل أكبر إلى الناطقين بهذه اللغة وخاصة من

1. L'Institut de Formation des Douanes : Une quarantaine d'année au service de la formation et renforcement des capacités, publication de l'Administration des Douanes et Impôts Indirects, 2017, p6, disponible sur <http://www.douane.gov.ma>

2. دبلوماسية التأثير والمجال الرقمي، موقع وزارة الخارجية الفرنسية، متوفر على الموقع التالي <https://www.diplomatie.gouv.fr>

3. وائل عبد العال، الدبلوماسية الرقمية ومكانتها في السياسة الخارجية الفلسطينية، جامعة بيرزيت 2018، ص 10.

أمريكا اللاتينية. ورغم أن الوزارة لا تتوفر حاليا على حساب باللغة الإسبانية، إلا أن سفارات وسفراء المغرب بأمريكا اللاتينية يمتلكون حسابات للتواصل باللغة الإسبانية.

وقد كانت وزارة الخارجية الفرنسية إحدى أولى المؤسسات الفرنسية التي أنشأت موقعا لها على الإنترنت منذ عام 1995، وتعتبر من المؤسسات الرائدة في مجال الدبلوماسية الرقمية بهدف ترويج صورة فرنسا والدفاع عن مصالحها، وتشير الإحصائيات إلى أن عدد زوار موقع الخارجية الفرنسية يصل إلى 1.7 مليون زائر في الشهر.

ثالثا: في انتظار دور داعم للدبلوماسية الاقتصادية

وعيا منه بأهمية القدرة الاقتصادية والتأثير والنفوذ، أصبح المغرب يواكب تطور شركاته على المستوى الدولي وذلك من خلال مساعدتها على اقتحام الأسواق الخارجية وتمتية الاستثمارات الأجنبية في المغرب.

ويلاحظ بشكل قوي تركيز العاهل المغربي على الجانب الاقتصادي في العمل الدبلوماسي فقد وجه سفراء المغرب منذ سنة 2013 إلى إعطاء الأولوية لدبلوماسية اقتصادية قادرة على تعبئة الطاقات بغية تطوير الشراكات وجلب الاستثمارات وتعزيز جاذبية البلاد وتمتية المبادلات الخارجية، معتبرا سفراء المغرب بمثابة جنود يجب أن يسخروا كل جهودهم لخدمة القضايا الاقتصادية لبلادهم. وقد ساهم هذا التوجيه الملكي في تمتية الحس الاقتصادي لدى الدبلوماسيين من أجل التنسيق والتشاور مع مختلف الفاعلين الاقتصاديين من القطاعين العام والخاص.

ويدخل إنشاء شركات تابعة للمجمع الشريف للفوسفات بدول أمريكا اللاتينية في إطار دعم الدولة لقدرة المجموعات المغربية الكبرى على التوجه نحو العالمية. فبحكم الأهمية الإستراتيجية للفوسفات في الصادرات المغربية، وتزايد طلب أسواق أمريكا اللاتينية على هذه المادة، أحدث المجمع الشريف للفوسفات

شركات تابعة في كل من البرازيل والأرجنتين، وحصل نهاية سنة 2019 على موافقة الحكومة لإحداث شركة جديدة تابعة بالمكسيك¹.

وإن كانت القارة الإفريقية تشهد على تعزيز قدرات الدبلوماسية الاقتصادية المغربية بشكل خاص، فإن منطقة أمريكا اللاتينية تفتقر إلى مبادرات عملية لتطوير العلاقات التجارية سواء الثنائية منها أو المتعددة الأطراف².

إن تتبع علاقات المغرب مع دول أمريكا اللاتينية يكشف مدى تسارع الأحداث وتعاقبا بشكل إيجابي، فقد انفتح المغرب بشكل مفاجئ وغير منتظر على كوبا في أبريل 2017 نتج عنه تبادل للسفراء بين الجانبين، كما حصل تفاعل سريع مع المعارضة الفنزويلية أياما قليلة بعد إعلان خوان غوايدو رئيسا مؤقتا للبلاد في يناير 2019 أسفر عن تفاهم سياسي لطبي صفحة اعتراف فنزويلا بالبوليزاريو. وبالعاصمة سان سلفادور، بعد أسبوعين فقط على تولي نجيب بوكلي مهامه كرئيس للسلفادور تم الإعلان بحضور وزير الخارجية المغربي يوم 15 يونيو 2019 عن قطع علاقات بلاده مع الجمهورية الصحراوية الوهمية.

تظهر مختلف هذه الحالات أن الدبلوماسية المغربية تشتغل عن قرب ووعي مستمر بتحديات الفضاء الذي تستهدفه، وتستغل الفرص الواقعية لتحقيق أهدافها. ومن خلال دبلوماسية مؤثرة استطاع المغرب كسب الصداقات واستقطاب النخب السياسية والشخصيات الفكرية المؤثرة في أمريكا اللاتينية، وهو ما ساهم بشكل مباشر في التعريف بوجهة نظر المغرب من قضية الصحراء وحشد الدعم حول مشروع الحكم الذاتي.

ويمكن القول في الختام أن النجاحات المتتالية التي تحققتها دبلوماسية التأثير المغربية اعتمادا على أسلوب القوة الناعمة كما عبر عنها جوزيف ناي تجعل من المغرب نموذجا متميزا في علاقات جنوب-جنوب، فهو لا يحقق أهدافه فقط، بل يساهم كطرف فاعل في تعزيز آليات الحوار والتضامن في السياسة الدولية.

1. الجريدة الرسمية عدد 6816 بتاريخ 26 محرم 1441 (26 سبتمبر 2019)، ص 9321.

2. راجع محسن منجد، الوضع الراهن والمحددات المستقبلية للسياسة التجارية المغربية إزاء أمريكا اللاتينية، التقرير السياسي لأمريكا اللاتينية للعام 2018، مكتبة قرطبة-وجدة، 2019، ص 10

تأثير الأزمة الفنزويلية في حركة التوازنات الجيوسياسية العالمية

ثائر طاهر فاضل

دبلوماسي في وزارة خارجية جمهورية العراق

اندلعت الأزمة الفنزويلية على اثر نتائج الانتخابات الرئاسية الفنزويلية في شهر ماي 2018، والتي فاز بها الرئيس نيكولاس مادورو بولاية ثانية تمكنه من الحكم لغاية العام 2025، لكن المعارضة، التي تسيطر على الجمعية الوطنية (البرلمان)، لم تعترف بنتائج الانتخابات، وأعلن رئيس البرلمان، خوان غوايدو، في يناير 2019، نفسه رئيساً مؤقتاً لفنزويلا، وحظي بمصادقة البرلمان، حينها انقسم المجتمع الدولي بين مؤيد ورافض، فقد اعترفت أمريكا ودول أخرى برئيس البرلمان خوان غوايدو، رئيساً مؤقتاً لفنزويلا، وهددت بالتدخل العسكري لتغيير نظام مادورو، بينما عارضت روسيا والصين التدخل العسكري، واستدعت روسيا طائرات حاملة للرؤوس النووية لدعم النظام الفنزويلي. وبذلك أصبحت الأزمة شأنًا دوليًا وليس شأنًا داخلياً لفنزويلا.

ونظراً لأهمية الموضوع وتأثيره في الساحة الدولية ارتأينا إعداد دراسة لبيان إن الأزمة الفنزويلية ليست شأنًا داخلياً بل صراعاً دولياً في دائرة تنافس القوى العظمى ضمن سياقات إعادة تموضعها وتحقيق التوازنات الجيوستراتيجية فيما بينها، إذ تحظى فنزويلا بموقع جغرافي وأهمية إستراتيجية يلعبان دوراً مهماً في حركة تلك التوازنات العالمية مما جعل فنزويلا حاضرة أمام أعين القوى العظمى لإيجاد موطئ قدم لها هناك، كما سنحاول بيان إلى أي مدى سيكون تأثير الأزمة في الصراعات الدولية بين تلك القوى من خلال تحليل ومناقشة تساؤلات وأجوبة مفادها، هل ستشن أمريكا وحلفائها هجوماً عسكرياً على فنزويلا لإسقاط نظام نيكولاس مادورو؟ وهل لدى أمريكا مخاوف من التدخل العسكري في القارة

اللاتينية؟ وما أهمية فنزويلا بالنسبة لروسيا والصين، وهل سيرحلان عن النظام المنهأرأم سيعززان وجودهما هناك؟ وما هو السيناريو المتوقع لنهاية الأزمة الفنزويلية؟ وتحاول هذه الدراسة توضيح مدى تأثير الأزمة الفنزويلية على التنافس الجيوسياسي والجيواستراتيجي العالمي للقوى العظمى، إذ تعد أمريكا، وفقاً لمبدأ مونرو لعام 1823، تدخل أية دولة أوروبية أو دولة أخرى في الشؤون الداخلية لإحدى دول القارة اللاتينية بمثابة تهديد للأمن القومي الأمريكي، بالمقابل تسعى كل من روسيا والصين إلى تعزيز حضورهما في فنزويلا، الحديقة الخلفية لأمريكا، وقد سبق وأعلنت روسيا أنها بصدد إقامة قواعد عسكرية طويلة الأمد في فنزويلا، من هنا تنطلق إشكالية البحث، هل سيؤدي التنافس الأمريكي (الروسي - الصيني) إلى صدام عسكري في فنزويلا؟ وما هي مخاوف أمريكا من التدخل العسكري في القارة اللاتينية؟ وما هي السيناريوهات المحتملة لنهاية الأزمة الفنزويلية؟

وفي ظل القواعد التي أكدها ميثاق الأمم المتحدة وترسيخه لمبدأ استقلال الدول، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، وان أساس العلاقات هو تعزيز المصالح الاقتصادية والتجارية وفقاً للاعتبارات الجيوسياسية والجيواستراتيجية وأهميتها، لذا يفترض على الدول احترام هذه القواعد والابتعاد عن الصراعات التي تهدد السلم والأمن الدوليين، والسعي إلى إقامة العلاقات على أساس المصالح المتبادلة وفقاً لمفاهيم العولمة على الرغم من حسابات الموقع الجغرافي وطموحات الدول في الهيمنة على اقتصاديات العالم.

المبحث الأول: الأهمية الجيوسياسية والجيواستراتيجية لفنزويلا

يعرف مفهوم الجيوسياسية بأنه سياسة السيطرة على الأرض وبسط نفوذ الدولة في أي مكان تستطيع الوصول إليه، ومدى قدرتها على أن تكون لاعبا فعالا في أوسع مساحة من الكرة الأرضية، ومن أبرز الأمثلة على ذلك، توسيع

نفوذ أميركا في جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق، وتحويل ولاء بعض تلك الجمهوريات من النفوذ الروسي إلى النفوذ الأمريكي¹. كما يُعرّف التوازن الجيواستراتيجي العالمي، بأنه "التعادل النسبي المتكافئ في الإمكانيات وجميع عناصر القوة البنائية والسلوكية والقيمية (الملموسة وغير الملموسة)، التي تحتوي عليها القوى العالمية والقوى المتحالفة معها، ضمن النطاق الجيو-عالمي، وما تمارسه من سلوك فاعل أو أداء استراتيجي عالمي فضلاً عما تهيمن عليه من مناطق حيوية جيواستراتيجية (مناطق نفوذ)، وما ينتج عن كل ذلك من آليات عمل وتأثير فاعل يسهم في ضبط سلوك القوى الأخرى والحفاظ على الاستقرار الدولي، كظاهرة الاعتماد الاقتصادي والمؤسسات الدولية والعملة والشراكات الإستراتيجية المتعددة.. الخ وفي جميع المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية في سبيل ضبط حركة التوازنات العالمية"².

أولاً: الأهمية الجيوسياسية لفنزويلا

تقع جمهورية فنزويلا البوليفارية في شمال قارة أمريكا الجنوبية، وتطل على البحر الكاريبي والمحيط الأطلسي، تحدها كولومبيا من الغرب، وغويانا من الشرق، والبرازيل من الجنوب، مساحتها 912.050 كم²، عاصمتها كاراكاس، عدد سكانها ما يقارب (30.000.000) ثلاثين مليون نسمة، لغتها الرسمية اللغة الإسبانية، تقع ضمن خطوط الطول والعرض 8 درجات شمالاً و66 درجة غرباً، لديها شريط ساحلي بطول 2800 كم، تمتلك أكبر احتياطي للنفط يقدر بـ(300) مليار برميل³، بالإضافة إلى ثروات طبيعية أخرى مثل الغاز الطبيعي والذهب والألماس وغيرها، وتتمتع بموقع استراتيجي يقع على الممرات الجوية والبحرية.

نظام الحكم جمهوري رئاسي فيدرالي، يُنتخب رئيس الجمهورية عن طريق انتخابات عامة ومباشرة، لفترة رئاسية مدتها 6 سنوات (لا حدود لعدد توليه الرئاسة)، تولى هوغو تشافيز رئاسة فنزويلا ثلاث مرات، منذ العام 1999،

1. كل ما تحتاج معرفته عن الجيوسياسية، شبكة النبا المعلوماتية، 16/7/2017، متوفر على الموقع التالي www.annabaa.org

2. قاسم محمد عبيد ومحمد ميسر فتحي، الأزمات الدولية ومستقبل التوازنات الجيواستراتيجية العالمية (الأزمة السورية والأوكرانية أمودجا)، مجلة قضايا سياسية، جامعة النهرين، العراق، العدد 44-43، السنة 2016، ص 70.

3. OPEC, DATA/GRAPHS, OPEC Oil Reserves, disponible sur opec.org

ولغاية وفاته في العام 2013، وتم كتابة دستور البلاد في العام ذاته. شكل وصوله للحكم انعطافة كبيرة في السياسة الخارجية للبلد حيث كسر احتكار السلطة من قبل الحزبين (الأبيض) و(الأخضر)¹، اللذان كانا يسيران في فلك الولايات المتحدة، وعلى الرغم من تبنيه وترويجه لأفكار يسارية واشتراكية وإيديولوجيات مناهضة للامبريالية والرأسمالية، إلا أنه قد استطاع بفضل سياساته النفطية، مستفيداً من ارتفاع الأسعار آنذاك، أن يتفادى إيدانة المجتمع الدولي له واستطاع إبعاد فنزويلا عن شبح العزلة الدولية، حيث اتخذ من السياسة النفطية والإيديولوجيات والمساعدات المالية أدوات لسياسة فنزويلا الخارجية في إقامة تحالفات وتكتلات، ودعم الأحزاب اليسارية والمنظمات والنقابات في القارة اللاتينية، وتأسيس ودعم حركات ثورية يسارية، مثل الحركة البوليفارية الثورية ونشاطاتها في (البرازيل، والأرجنتين، وبويرتوريكو، والبيرو، وبوليفيا، والمكسيك، والشيلي، وكولومبيا، والإكوادور، والدومنيكان، والأوروغواي، وفنزويلا)²، بالإضافة إلى توقيع العديد من الاتفاقيات لتزويد دول القارة اللاتينية بالنفط بأسعار تفضيلية وجعل مسألة النفط نقطة التلاق بينه وبين من يشاطره الأفكار اليسارية والبحث عن عالم متعدد الأقطاب لمواجهة أمريكا وإبعادها عن المنطقة.

أسهم وصول تشافيز لحكم فنزويلا في اجتياح التيار اليساري للقارة اللاتينية، حيث كان لوصوله إلى السلطة أثراً في انتخاب وفوز رؤساء يساريين في (12) دولة لاتينية (الأرجنتين وبوليفيا والبرازيل والشيلي والإكوادور والسلفادور وهندوراس ونيكاراغوا وباراغواي والبيرو والأوروغواي وفنزويلا)، انتخب هوغو شافيز في فنزويلا عام 1999، وفي شيلي، ريكاردو لاغوس عام 2000، وفي البرازيل، لويس إناسيو لولا دا سيلفا عام 2003، وفي الأرجنتين فاز نيكستور كيرشنر عام 2003، وبعده زوجته كريستينا كيرشنر عام 2007، وفي الاوراوغواي، تاباري فاسكيز عام 2005، وفي بوليفيا، إيفو موراليس عام 2005، وفي الهندوراس، مانويل زيلايا عام 2006، وفي نيكاراغوا، دانييل أورتيغا عام 2006، وفي

1. Vicente Garrido Rebolled, y otros Autores, Venezuela y La Revolucion Bolivariana, Instituto Universitario General Gutierrez Mellado, España-Madrid, 2009, p. 26.

2. Lourdes Cabo, Venezuela y el mundo transnacional, Instrumentacion de la politica exterior venezolana para imponer un model politico en America Latina, Instituto Latinoamericano de Investigaciones Sociales (ILDIS), Fundación Friedrich Ebert en Venezuela, Caracas. 2018, p. 2-4-6.

الباراغواي، فرناندو لوجو عام 2008، وفي السلفادور، ماوريسيو فونيس عام 2009، وفي البيرو، أولانتا هومالا عام 2011، وفي الإكوادور، رافائيل كوريا عام 2007¹، وبذلك استطاع كسر هيمنة واحتكار تيار اليمين، المدعوم من الولايات المتحدة الأمريكية، للسلطة وحكم بلدان القارة على مدى (50) عاما. فيما بعد عمل هوغو تشافيز على إطلاق مبادرات التكامل والاندماج في القارة اللاتينية، حيث تم تأسيس التحالف البوليفاري لشعوب أمريكا (الابلا)² بمبادرة منه والرئيس الكوبي كاسترو في عام 2001، وهي منظمة حكومية دولية تضم (فنزويلا، وكوبا، واتيغوا وبربودا، وبوليفيا، والاكوادور، والدومنيكان، وغرينادا، ونيكاراغوا، وسانت كيتس ونيفيس، وسانت لوسيا، وسانت فينسنت والغرينادين) ويهدف التحالف لتوحيد قدرات ونقاط قوة تلك البلدان لتحقيق تنمية شاملة وتكامل سياسي ولكي تكون بديل عن منطقة التجارة الحرة التي تدعمها الولايات المتحدة.

وفي العام 2008 بادر تشافيز ورئيس البرازيل لولا دا سيلفيا إلى تأسيس اتحاد دول أمم أمريكا الجنوبية³ (UNASUR)، وهي قطب يضم جميع دول القارة الجنوبية، ويهدف إلى التكامل وتعزيز العلاقات بين الدول لتكون كمنطقة بديلة عن منظمة الدول الأمريكية (OAS) ومقرها في واشنطن.

في عام 2011، لعب تشافيز دورا مهما في تأسيس "تجمع دول أمريكا اللاتينية والكاريبي" (CELAC) وتضم (33) جميع دول الأمريكيتين باستثناء الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، إذ كانت العاصمة الفنزويلية كاراكاس المكان الذي انطلقت منه فكرة تأسيس المشروع الذي يهدف إلى الدفاع عن الديمقراطية والمؤسسات وسيادة الشعوب، والتكامل والتنسيق السياسي وللحد من هيمنة أمريكا⁴.

ثانيا: الأهمية الجيوستراتيجية لفنزويلا

دأبت فنزويلا على أن تعطي الحراك السياسي والاقتصادي بعدا

1. Por qué fracasa la izquierda en América Latina?, Razon Publica, 12/03/2017 disponible sur www.razonpublica.com

2. La huella de Chávez en las instituciones internacionales, BBC MUNDO, 19-09-2001, disponible sur www.bbc.com

3. جواد صندل جازع، العلاقات العربية مع دول أمريكا اللاتينية، مجلة دبالى للبحوث الإنسانية، العراق، العدد 55، لسنة 2012، ص 14.

4. Cumbre de la comunidad de Estados Latinoamericanos y Caribanos , Declaración de Caracas "En el Bicentenario de la Lucha por la Independencia Hacia el Camino de Nuestros Libertadores", Venezuela-Caracas, 03 /12/2011 .

جيوستراتيجيا لمواجهة أحكام الجغرافية في وجودها ضمن الحديقة الخلفية للولايات المتحدة الأمريكية، لذا عمدت إلى بناء التحالفات والتكاملات والتعاون مع دول خارج القارة اللاتينية مثل روسيا والصين وإيران وسوريا وبلاروسيا، وانتهج النظام الفنزويلي إيديولوجيات وسياسات تروج إلى حتمية الصدام بين الرأسمالية والاشتراكية، وعمل على تعميق الصراع الطبقي على مستوى الكوكب عبر تضامنه مع حركات مسلحة وحررية وثورية مثل حركة الفارك في كولومبيا، وحركة إيتا في اسبانيا، وحركات المقاومة الفلسطينية، ووقوفه إلى جانب دول صنفتها أمريكا بـ(المارقة والشريرة) مثل كوبا وإيران وليبيا، وبالإضافة إلى دعمه ومناصرته لفلسطين ولبنان وسوريا¹، حيث كان يردد "أشعر إن دمي عربي"، الأمر الذي سبب قلقاً وانزعاجاً للإدارات الأمريكية وحكومات الاتحاد الأوروبي.

استغلت فنزويلا الاحتياطات الكبيرة التي تمتلكها من النفط والغاز في التحرك داخل منظمة الأوبك والتأثير في قرارات دول المنظمة والتقرب منها وتعميق علاقاتها وتعاونها الثنائي مع أغلب دول المنظمة حيث يقدر حجم الاحتياطي النفطي لفنزويلا بـ(300) مليار برميل نفط، وبذلك تعد فنزويلا واحدة من الدول الست (السعودية والعراق والإمارات والكويت وإيران وفنزويلا)، والتي سيكون بمقدورها تزويد العالم بما يقارب نصف احتياجاته من البترول بعد أن تكون احتياطيات الكثير من الدول المنتجة للبترول قد بدأت رحلة النضوب الطبيعي وصار إنتاجها عاجزا عن مواكبة الطلب العالمي المتزايد على البترول، فقد بلغ إنتاج فنزويلا في العام 2001 نحو (3.42) ملايين برميل يوميا، وبذلك قد احتلت المرتبة الثالثة داخل أوبك بعد السعودية (9.1 ملايين ب/ي) وإيران (3.77 ملايين ب/ي)². وكانت فنزويلا تصدر النفط إلى أمريكا بمعدل مليون برميل يوميا منذ عام 2000 ولغاية عام 2008، لكن معدلات التصدير بدأت بالهبوط منذ عام 2008، حتى وصلت إلى (600) ألف برميل نفط يوميا في عام 2017³، كما وانه توجد شركة بترول فنزويلية (Citgo) مقرها

1. عادل الجوجري، هوجو شافيز أسد فنزويلا ومرعب أمريكا، دار الكتاب العربي، دمشق - القاهرة، ط1، 2007، ص 146-151.

2. Chávez inició histórica visita por países de la OPEP, Emol. Economía, 06/08/2000.

3. Cómo Colombia desplazó a Venezuela y se convirtió en el mayor exportador de petróleo de Sudamérica a Estados Unidos, BBC MUNDO, 04 /05/ 2018.

الرئيسي داخل الولايات المتحدة لتكرير النفط فنزويلي وتبعد الشركة عن موانئ فنزويلا مسافة تقطعها الناقلات في خمسة أيام، بينما تمتد تلك المدة إلى خمسة أسابيع بالنسبة للناقلات القادمة من الشرق الأوسط، وهكذا استطاعت فنزويلا الاحتفاظ بمركز شبه احتكاري في تزويد منطقة الخليج الأميركي بالزيت الثقيل. وقد تجلّى بوضوح توظيف فنزويلا لسياستها النفطية لتحقيق أهداف جيواستراتيجية، من خلال الرحلة المكوكية التاريخية التي قام بها تشافيز في عام (2000)، في زيارة جميع بلدان الأوبك لدعوتهم للاجتماع في العاصمة كاراكاس- فنزويلا، لعقد القمة الثانية للمنظمة، القمة الأولى عقدت في الجزائر عام 1975، لبحث قضية انخفاض أسعار البترول آنذاك، وصرح حينها بان اجتماع قادة الأوبك هو انجاز بحد ذاته، وصدر عن القمة "بيان كاراكاس"، الذي وضع مبادئ أساسية للتعاون بين دول الأوبك¹. وبالفعل نجحت الدول الثلاث (فنزويلا والسعودية والمكسيك) في تحجيم الإنتاج داخل الأوبك وبدعم دول من خارج المنظمة، في رفع سعر البرميل إلى (20) دولار بعد أن كان قد تدنى إلى (10) دولارات.

ويستمر الرئيس الحالي لفنزويلا نيكولاس مادورو في إتباع خطى تشافيز في الانطلاق نحو التقارب والتحالف مع دول من خارج القارة، حيث قام مادورو في الأعوام 2015 و2016 و2017 بجولات مكوكية بين دول داخل وخارج الأوبك لتعزيز التنسيق في السياسات النفطية والدعوة إلى خفض إنتاج النفط لتعزيز أسعاره، ونجحت فنزويلا وروسيا من خلال دبلوماسية النفط في قيادة حراك داخل وخارج الأوبك أثمر عن استجابة الدول المنتجة في تخفيض معدلات الإنتاج بغية تحقيق استقرار في أسعار النفط، على اثر ذلك تعافت أسعار النفط وارتفعت فوق (50) دولار للبرميل في عام 2017، بعدما انحدرت إلى أدنى مستوياتها في عام 2014².

1. Chávez inició histórica visita por países de la OPEP, Op. Cit.

2. Venezuela en la nueva geopolítica, 12/10/2017, disponible sur <https://red58.org/>.

المبحث الثاني: المتغيرات الداخلية والخارجية وانعكاساتها على الصراع في فنزويلا

تعيش فنزويلا أسوأ أزمة سياسية واقتصادية واجتماعية في تاريخها، وكانت بدايات الأزمة مع وصول تيار اليسار الاشتراكي بعد فوز هوغو تشافيز في الانتخابات الرئاسية الفنزويلية في العام 1999، وتبنيه نهجا ثوريا واشتراكيا وإيديولوجيات ومفاهيم معادية للرأسمالية والغرب وهيمنة وتدخلات الولايات المتحدة الأمريكية في شؤون القارة اللاتينية، إذ عمل على إقامة تحالفات وتكتلات سياسية واقتصادية أهمها (اتحاد اوناسور)، و(مجموعة سيلاك)، بهدف التكامل والاندماج بين دول القارة اللاتينية لإبعاد الهيمنة الأمريكية، وممانعة البيت الأبيض في توقيع اتفاقيات تجارة حرة أو إقامة تقارب وتحالفات مع دول القارة، واستمر الرئيس نيكولاس مادورو (-2013 لغاية الآن) وريث تشافيز في تبني ذات المفاهيم والايديولوجيات مما سبب قلقاً وانزعاجاً لدى الإدارات الأمريكية وإعلان فنزويلا دولة مهددة للأمن القومي الأمريكي.

أولاً: المتغيرات الداخلية وانعكاساتها على الصراع في فنزويلا

إن تبني النظام الفنزويلي لمفاهيم وسياسات مثل "اشتراكية القرن 21"، وحزمة الأيديولوجيات، والترويج للملكية الدولة، والسيطرة على المجتمع ومؤسسات الدولة¹، أدى إلى حدوث مشاكل داخلية أهدرت ثروات البلد، وأضعفت اقتصاده، وأغرقت بالديون، وتسببت في تعميق الصراع بين النظام، حليف روسيا والصين، والمعارضة المدعومة من أمريكا وأوروبا، ويمكن أن نوجز تلك المشاكل كما يأتي:

1 - سياسات النظام الفنزويلي وأدبياته لخلق قاعدة شعبية جماهيرية مؤيدة له وتؤمن بأفكاره اليسارية والاشتراكية أحدثت شرخاً وانقساماً في المجتمع الفنزويلي بين الفقراء وهم الغالبية ويمثلون أنصار هوغو تشافيز، وبين الطبقة الوسطى والغنية

1. Carlos A. Romero and Victor M. Mijares, from Chávez to Maduro: Continuity and change in Venezuelan Foreign Policy, Contexto Internacional vol.38, n°1, Rio de Janeiro, 2016, p.171

أصحاب رؤوس الأموال وهم أنصار المعارضة، حيث ينظر الفقراء إلى الأغنياء بعين الحقد والخيانة والعمالة للخارج¹.

2 - سياسات الاستثمار في مشاريع قومية لا تعود بأي عائدات إلى فنزويلا، من خلال إبرام الاتفاقيات مع بلدان أمريكا الجنوبية والكاريبية (اتفاقية سان خوسيه، وبتروكارببي، واتفاقية بتروسور) لتزويدها بالنفط بأسعار تفضيلية²، وإن يكون الدفع بالأجل، تسببت في هدر ثروات البلد، وإغراقه بالديون التي وصلت إلى (150) مليار دولار في العام 2017، بعدما كانت تقدر بـ(28) مليار دولار في العام 1999، وأصبحت فنزويلا تباع النفط ليس للربح أو لشراء السلع والخدمات بل لتسديد مستحقات الديون³.

3 - تأميم شركة النفط الوطنية الفنزويلية (PDVSA)، وقيام النظام الفنزويلي في عام 2000 بإبعاد مدراء تنفيذيين في الشركة وتعيين محلهم جنرالات من الجيش موالين للنظام الفنزويلي، أدى إلى استقالة (34) من قيادات الشركة، مما نجم عنه انخفاض تدريجي في مستويات الإنتاج حيث بلغ (1.4) مليون برميل يوميا في العام 2018، بعدما كان (3.2) مليون برميل يوميا في العام 2002⁴.

4 - اعتماد النظام الفنزويلي على أن يكون تسديد مبيعات النفط عن طريق تقديم الدول خدمات إلى فنزويلا مثل إرسال (أطباء ومدرسين ومهندسين)، فضلا عن فرض فنزويلا قوانين صارمة لمنع التعامل بالدولار، عوامل سببت انهياراً في العملة المحلية بشكل كبير، وركوداً اقتصادياً، وتضخم وصلت نسبته إلى (%1,000,000) مليون في المائة⁵، وقد تفشت الجريمة بمعدلات عالية جدا من اغتيالات وخطف تطال حتى رجال الأمن والشرطة أنفسهم مما جعل كاراكاس تعد ثاني أخطر مدينة في العالم بـ(119) قتيل لكل 100 ألف نسمة، وفي النهاية هرب أكثر من (3) ملايين فنزويلي إلى الدول المجاورة، البرازيل والبيرو والشيلي وكولومبيا والإكوادور، بسبب انعدام أدنى مقومات الحياة في

1. مساعيد فاطمة، التحولات الديمقراطية في أمريكا اللاتينية: نماذج مختارة، جامعة ورقلة (الجزائر)، دفاثر السياسية والقانون، عدد خاص نيسان 2011، ص 236.

2. عادل الجوجري، مصدر سبق ذكره، ص 113

3. فنزويلا تقترب من إعلان مجزها عن تسديد الدين البالغ 150 مليار دولار، بتاريخ 13/11/2017 متوفر على الموقع التالي www.mc-doualiya.com

4. انخفاض عائدات فنزويلا من النفط بنحو الثلث في 2016، بتاريخ 13/8/2017 متوفر على الموقع التالي www.knoozmedia.com

5. نهي الحساس، موقع التضخم قرب بلامة، كيف وصل اقتصاد فنزويلا لحالة الانهيار، بتاريخ 29/7/2018، متوفر على الموقع التالي

هذا البلد الغني بالنفط، علاوة على ذلك، أصدرت الحكومة قانون "الكرهية ضد فنزويلا"، وهو قانون ينص على السجن عشرين عاما لمن يتكلم عن الأزمة أو يشتكي منها¹.

ثانيا: المتغيرات الخارجية وانعكاساتها على الصراع في فنزويلا

على الرغم من إن النجاحات التي حققتها السياسة الخارجية الفنزويلية على المستويين الإقليمي والدولي جعلتها دولة محورية في أمريكا اللاتينية كما سبق شرحه، واصطفت دول المنطقة إلى جانبها بهدف إيجاد سيناريو جماعي إقليمي لمواجهة التدخلات الأمريكية في القارة، إلا أن عيوبها ظهرت فيما بعد في سياسيات النظام الفنزويلي شكلت تهديدا لكي يفقد هذا البلد بريقه وحضوره الإقليمي والدولي، حيث باتت فنزويلا اليوم تعيش في عزلة دولية، وتعصف بها مشاكل أدخلتها في نفق مظلم وأزمة دولية، ويمكن الإشارة إلى المشاكل الخارجية على النحو الآتي:

1 - سعي النظام الفنزويلي إلى تصدير مفاهيم يسارية وثورية واشتراكية إلى دول القارة اللاتينية سبب استياءً وانزعاجاً للإدارات الأمريكية والاتحاد الأوروبي ولبعض دول القارة. فعلى سبيل المثال، اتهمت كولومبيا، الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية، فنزويلا في عام 2008 بدعم حركة الفارك الثورية المسلحة، وجيش التحرير الوطني الكولومبي، وإيوائهم على أراضيها، حينها صرح تشافيز بان الفارك وجيش التحرير ليستا منظمين إرهابيين بل جيشين حقيقيين، مما أدى إلى اندلاع أزمة بين فنزويلا وكولومبيا حشد الجيشين الفنزويلي والإكوادوري قواتهما العسكرية حينها على حدود كولومبيا².

2 - تعزيز النظام الفنزويلي علاقاته مع روسيا والصين، ودول تعدها أمريكا مارقة وشريرة، مثل إيران وكوبا وسوريا وليبيا، وأبرمه اتفاقيات تعاون عسكري معها، وقيامه بمناورات عسكرية مشتركة بين القوات الفنزويلية والقوات الروسية في البحر الكاريبي، سياسيات عدتها أمريكا عدائية وخطيرة واتهمت فنزويلا بزعزعة

1. فاطمة شوقي، فنزويلا تمر بأسوأ أزمة اقتصادية في تاريخها.. التضخم يكسر حاجز الـ4000%. وقانون "الكرهية ضد فنزويلا" وسيلة جديدة لتكريم الأثواء وعدم التحدث عن الأزمة.. والنساء تبعن شعرهن لشراء حفاضات للأطفال، بتاريخ 11/2/2018 متوفر على الموقع التالي www.youm7.com

2. Venezuela y Colombia: años en la cuerda floja, 23 /07/ 2010, disponible sur www.bbc.com/

امن واستقرار القارة اللاتينية، بالمقابل تهم فنزويلا أمريكا بالسعي لإسقاط النظام، وحملتها مسؤولية الضلوع بقتل تشافيز في عام 2013، مسموماً¹.

3 - وضعت الأزمة الفنزولية المجتمع الدولي في مأزق، فبعد فوز الرئيس نيكولاس مادورو بالانتخابات الرئاسية في شهر ماي 2018، والتي رفضتها المعارضة ولم تعترف بنتائجها، فبادر الرئيس مادورو إلى إنشاء جمعية تأسيسية وطنية موالية له، بدلاً عن البرلمان، مما سهل له إجراء تعديلات على بعض فقرات الدستور، ثم قيامه بأداء اليمين القانوني أمام المحكمة العليا، مما أثار غضب واستياء البرلمان معلناً أن تنصيب مادورو غير شرعي، لأن الدستور ينص على إن أداء اليمين يكون إمام البرلمان وليس في المحكمة، وان البرلمان يمثل السلطة الشرعية الوحيدة في البلاد مما حدا برئيسه خوان غوايدو بإعلان نفسه رئيساً مؤقتاً لفنزويلا في شهر يناير 2019، فوراً أعلنت أمريكا اعترافها وتأييدها له، ثم اعترفت بعدها أكثر من (50) دولة منها، كندا والاتحاد الأوروبي ومجموعة ليما ودول أخرى. بينما تدعم روسيا والصين وتركيا وإيران وكوبا ودول أخرى، نظام مادورو، وتتهم أمريكا بتدبير الانقلاب ضده².

1.LA RAZON, Venezuela acusa a EE UU de la muerte de Chávez, 06/03/2013, <https://www.larazon.es/internacional>

2. اعتراف واسع بغوايدو رئيساً لفنزويلا ومادورو بخدر من حرب أهلية، بتاريخ 5/2/2019 متوفر على الموقع التالي . www.aljazeera.net/news

جدول يبين اختلاف المواقف الدولية حول الأزمة في فنزويلا

<p>روسيا البيضاء، وبوليفيا، وكمبوديا، والصين، وكوبا، ودومينيكا، والسلفادور، وغينيا الاستوائية، وإيران، ولاوس، ونيكاراغوا، وكوريا الشمالية، والمكسيك، وروسيا، وسانت كيتس ونيفيس، وسانت فينسنت والغرينادين، وجنوب إفريقيا، وسورينام، وترينيداد وتوباغو، وتركيا، وفيما يخص المنظمات الحكومية فخطي بدعم التحالف البوليفاري لشعوب الأمريكّان</p>	<p>الدول والمنظمات الداعمة لنظام مادورو</p>
<p>ألبانيا، والأرجنتين، وأستراليا، والباهاماس، والبرازيل، وكندا، والسليبي، وكولومبيا، وكوستاريكا، والدنمارك، وجمهورية الدومنيكان، والاكوادور، وجورجيا، وغواتيمالا، وهايتي، والهندوراس، وإسرائيل، وبنما، والباراغواي، والبيرو، والبرتغال، وفرنسا، والمانيا، واليابان، وغيانا، وجامايكا، وسانت لوسيا، وإسبانيا، والسويد، وأوكرانيا، والمملكة المتحدة، والولايات المتحدة الأمريكية، يضاف إليه دعم المنظمات الحكومية مثل¹ الاتحاد الأوروبي، ومجموعة ليما، ومنظمة الدول الأمريكية</p>	<p>الدول والمنظمات المؤيدة لخوان غوايدو رئيسا مؤقتا لفنزويلا</p>
<p>كان المغرب أول دولة عربية تعلن تأييدها لزعيم المعارضة خوان غوايدو رئيسا مؤقتا لفنزويلا، بينما أعلنت كل من سوريا وفلسطين دعمهما لنظام نيكولاس مادورو²</p>	<p>مواقف الدول العربية</p>

4 - انعكست تداعيات الصراع في فنزويلا على المستويين الإقليمي والدولي. إقليميا، لم تعترف "مجموعة ليما" المكونة من (14) دولة من القارة الأمريكية، باستثناء المكسيك، بالانتخابات الرئاسية الفنزويلية الأخيرة، وذلك عقب اجتماع عقدته في ليما عاصمة البيرو لمناقشة سبل تكثيف الضغط الدولي على النظام الفنزويلي³، أما دوليا، فقد ندد المجتمع الدولي بالانتخابات وقاطعها، ولم تعترف بها الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، ودول الاتحاد الأوروبي، كما لم تعترف بها منظمة دول أمريكا (OAS)، التي تضم جميع دول القارة الأمريكية (34) دولة، ومن قبل كانت قد فعلت هذه المنظمة الميثاق الديمقراطي ضد فنزويلا لانتهاكها الديمقراطية

1. الأزمة الرئاسية الفنزويلية 2019، الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

2. المغرب يعلن تأييده لغوايدو الذي نصب نفسه رئيسا لفنزويلا، 30/1/2019، متوفر على الموقع التالي https://arabic.rt.com/middle_east

3. 13 دولة من "مجموعة ليما" ترفض الاعتراف برئيسة الرئيس الفنزويلي، بتاريخ 5/1/2019 متوفر على الموقع التالي <https://elaph.com>

وتم تعليق عضويتها في المنظمة¹، بمعنى أن دول القارة اللاتينية فرضت نوعاً من الحصار والمقاطعة السياسية والاقتصادية على فنزويلا لكي تعيش في عزلة إقليمية ودولية.

المبحث الثالث: التنافس الأمريكي / الروسي - الصيني في فنزويلا

سعت أمريكا على مر التاريخ إلى إطلاق استراتيجيات لإحكام السيطرة على حديقها الخلفية المتمثلة في القارة اللاتينية ومنطقة الكاريبي لأهمية موقعها الجغرافي وتعدادها السكاني الذي يصل إلى 600 مليون نسمة، وامتلاكها ثروات طبيعية من النفط والغاز والألماس والمعادن وما يشكل نسبته 45% من المياه العذبة على الكوكب، بالإضافة إلى المعابر الإستراتيجية في النقل البحري وتأثيرها الاقتصادي والسياسي الكبير بشكل عام على العالم وبشكل خاص على الولايات المتحدة الأمريكية في تنافسها مع الصين وروسيا والذان عززا حضورهما الاقتصادي والسياسي خلال السنوات الماضية في المنطقة لتصبح ساحة جديدة للتنافس والمواجهة، إذ عملت روسيا على تعزيز حضورها العسكري في المنطقة عبر صفقات السلاح، بحيث أضحت المورد الرئيس للأسلحة لدول أمريكا الجنوبية. أما الصين فحرصت على ترسيخ نفوذها في المنطقة لضمان الوصول إلى المخزون الاستراتيجي الهائل من المواد الأولية ومصادر الطاقة، وكذلك الأسواق الشاسعة في القارة حتى أضحت الصين شريكاً تجارياً ومستثمراً ومقرضاً رئيساً للعديد من دول المنطقة. وتأتي دوافع الحضور (الروسي - الصيني) في القارة اللاتينية لخلق حالة من التوازن الجيوسياسي والجيواستراتيجي مع أمريكا في أعقاب تمدد حلف الناتو في أوروبا الشرقية، ونشر منصات مضادة للصواريخ البالستية على الحدود الروسية من ناحية، والحضور العسكري في شمال شرق آسيا مع حدود الصين².

1. منظمة الدول الأمريكية تجتمع للتصويت على تعليق عضوية فنزويلا، بتاريخ 6/6/2018 متوفر على الموقع التالي www.erefnnews.com/news
2. فنزويلا ساحة تصعيد لصراع دولي، 4/2/2019، البيان، متوفر على الموقع التالي <https://www.albayan.ae>

أولاً: طبيعة العلاقات بين فنزويلا وأمريكا

كون فنزويلا وأمريكا لا يفصلهما سوى البحر الكاريبي، فقد وقع البلدان معاهدة الحدود البحرية في كاراكاس- فنزويلا عام 1978، وبما أن فنزويلا تمتلك أكبر احتياطي للنفط في العالم ويقدر بـ(300) مليار برميل نفط، فقد دأبت أمريكا على المحافظة على علاقاتها التجارية والاقتصادية معها، حيث كانت تعد الشريك التجاري الأول لها والمشتري الرئيس للنفط الفنزويلي، إلا أن العلاقات الثنائية سادها حالة من التأزم والتوتر منذ وصول تشافيز إلى الحكم عام 1999، ولغاية اليوم، إذ سعى إلى إيجاد سيناريو إقليمي جماعي لمواجهة الولايات المتحدة الأمريكية، كما هدد بوقف تزويدها بالنفط الفنزويلي عندما كانت تعد المستهلك الأول للنفط الفنزويلي باستيرادها ما يقارب لـ(1,7) مليون برميل نفط يومياً عام 1998، ورفض المشاركة معها في مناورات عسكرية إقليمية وثنائية، كما قام بشراء الأسلحة من روسيا والصين وروسيا البيضاء وعمل على تطوير علاقاته الثنائية وأقام أفضل العلاقات مع الدول المارقة كوبا وإيران وسوريا وليبيا، واتهم أمريكا بالتآمر على النظام الفنزويلي والاجتماع مع قادة المعارضة في ميامي للتخطيط والقضاء على الثورة البوليفارية، واتهمها بتدبير انقلاب عام 2002، وتوترت العلاقة على مدى 15 عاماً، وتبادل البلدان طرد السفراء، قابله رفض الإدارة الأمريكية الاعتراف بالانتخابات الرئاسية لعام 2013، ولعام 2018، وإصدار عقوبات بحق كبار المسؤولين الفنزوليين لارتباطهم بعمليات تهريب المخدرات وغسيل الأموال وإغلاق حسابات الكثير منهم، وقد أصدر الرئيس الأمريكي السابق باراك اوباما قرار في عام 2015 ومدده في عام 2016، أعلن فيه إن فنزويلا تشكل تهديداً على الأمن القومي للولايات المتحدة¹.

مواقف إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب صبت في ذات الاتجاه مع قرارات إدارة اوباما، حيث أعلن في عام 2017، إن فنزويلا تشكل خطراً على العالم، ووقع مرسوماً ينص على فرض عقوبات مالية قاسية طالت عشرين

1. فنزويلا تطلب من الولايات المتحدة إلغاء مرسوم اعتبارها تهديداً للأمن القومي الأمريكي، بتاريخ 9/4/2015 متوفر على الموقع التالي www.raialyoum.com

كياً من ضمنها شركة تصدير النفط الفنزويلية، خطوة عدتها فنزويلا بأنها أسوء عمل عدواني اتخذته أمريكا ضدها منذ 200 عام، بالإضافة إلى إن الإدارة الأمريكية صرحت بان الخيار العسكري مطروح على الطاولة لإزالة "مثلث الطغيان"، حسب تعبير الإدارة الأمريكية في إشارة إلى الأنظمة في فنزويلا وكوبا ونيكاراغوا¹، لأنها ترى بان فنزويلا قد تسببت في خرق سيادة أمريكا اللاتينية وفقاً لمبدأ مونرو عام 1832، عبر إقامة تحالفات قوية مع روسيا والصين والدخول معهما في توقيع اتفاقيات عسكرية واقتصادية وتجارية لا سيما وان فنزويلا أصبحت الحليف الأكبر للصين عبر تلقيها مساعدات تزيد على 60 مليار دولار².

ثانياً: طبيعة العلاقات بين فنزويلا وروسيا

تعد روسيا الحليف الاستراتيجي الأول لفنزويلا في القارة اللاتينية، وثاني دائن لها بعد الصين، إذ عمل النظام الفنزويلي على تطوير علاقاته مع روسيا عبر تعزيز تطابق وجهات نظر البلدين فيما يتعلق بالحاجة إلى بناء عالم متعدد الأقطاب، وإجراء إصلاحات في منظومة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وكذلك إنشاء نظام مالي وتجاري عالمي جديد، ومكافحة الإرهاب، والاتجار بالمخدرات، والامتثال لمبادئ القانون الدولي، والالتزام بمبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية واحترام سيادة الدول والتسوية السلمية للمنازعات الدولية. وقد زار تشافيز روسيا قرابة (9) مرات، وتم التوقيع على أكثر من (350) اتفاقية بين البلدين، تشمل صفقات أسلحة وتعاون عسكري وتقني وتعاون في مجال الفضاء والطاقة والنفط والعلوم والتقنية والتعليم وبناء مفاعل نووي روسي في فنزويلا، واتفاقية إلغاء تأشيرات الدخول لمواطني الدولتين، والضمان المشترك للاستثمارات المالية، والتعاون في مجال حماية البيئة وصيد الأسماك، واتفاقية لتأسيس مصرف روسي- فنزويلي برأسمال قدره (4) مليار

1. تستهدف قطاع الذهب... واشنطن تفرض عقوبات على فنزويلا، بتاريخ 2/11/2018 متوفر على الموقع التالي www.alhurra.com

2. مروان قبلا، لماذا فنزويلا؟، العربي الجديد، بتاريخ 6 /2/ 2019 متوفر على الموقع التالي www.alaraby.co.uk/opinion

دولار، لتمويل المشاريع المشتركة، كما وقع الجانبان الروسي والفرنزويلي العديد من اتفاقيات التعاون العسكري، من أهمها مشروع قاعدة رادارات وصواريخ في مطار "بونتوفيو الدولي" في شبه جزيرة باراغوانا الفنزويلية، وقد تجاوزت مبيعات الأسلحة الروسية إلى فنزويلا مبلغ (14) مليار دولار، شملت منظومة صواريخ (اس 300)، ومنظومات صاروخية من طراز "إس 125-" المعدلة والمحدثة، وأسلحة خفيفة: بنادق هجومية وبنادق دقيقة (قناصة) وقاذفات صواريخ مضادة للدبابات، ودبابات، ومرجبات قتالية، ومدفعية، وأنظمة متنقلة لقاذفات الصواريخ المتعددة، وطائرات مقاتلة سوخوي، وطائرات هليكوبتر هجومية.

أجرت روسيا وفنزويلا في عامي 2008 و2013، مناورات بحرية وجوية في مياه البحر الكاريبي والأطلسي، والتي تعد منطقة نفوذ أمريكية، شارك فيها نحو 1600 جندي روسي و700 جندي فنزويلي على أربع سفن حربية روسية و12 سفينة فنزويلية تقدمها حاملة صواريخ نووية روسية¹، أثارت حينها قلقاً كبيراً لبلدان المنطقة وأمريكا، وتعد هذه المناورات الأولى بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانسحابه من كوبا عام 1991، كما وحلقت في شهر دجنبر 2018، اثنين من القاذفات الإستراتيجية الروسية ذات القدرات النووية (Tu-160)، فوق البحر الكاريبي ترافقها طائرات حربية فنزويلية، وهددت روسيا واشنطن بالرد في حال فكرت بالهجوم العسكري على فنزويلا لإسقاط نظام نيكولاس مادورو، وقد استطاعت روسيا في شهر فبراير 2019، إفشال تمرير مشروع قرار أمريكي في مجلس الأمن يدعو إلى تنظيم انتخابات رئاسية في فنزويلا وإيصال مساعدات إنسانية لها²، وقد صرحت روسيا في مناسبات عديدة عن نيتها بناء قواعد عسكرية وبحرية طويلة الأمد في فنزويلا، وتتنظر لعلاقتها مع فنزويلا من منظور المصالح الجيوسياسية والجيواستراتيجية ذات اعتبارات خارج حسابات المال والتجارة في القارة اللاتينية والكاريبي³.

1. فنزويلا وروسيا تبيان الاثمين مناورات بحرية مشتركة، 29/11/2008، متوفر على الموقع التالي www.aljazeera.net/news

2. روسيا والصين تستخدمان حق الفيتو ضد مشروع قرار أمريكي بشأن فنزويلا، 28/2/2019، متوفر على الموقع التالي www.youm7.com

3. Petr leo, armas y geopolitica: la apuesta de Rusia por la Venezuela de Maduro, El PA S, 30/1/2019, disponible sur <https://elpais.com>

ثالثاً: طبيعة العلاقات بين فنزويلا والصين

تعد الصين الدائن الأول لفنزويلا حيث وصلت حجم الديون قرابة 60 مليار دولار، وقد حظيت الصين باهتمام النظام الفنزويلي منذ وصول الرئيس تشافيز إلى السلطة عام 1999، حيث أراد التقرب من الصين وبناء علاقات قوية لاعتبارين أحدهما فكري وعقائدي، على اعتبار أن النظام الفنزويلي يساري شيوعي اشتراكي، والثاني تجاري واقتصادي، إلا أن الصين صرحت بأن علاقاتها لا تنسم بطابع فكري أو عقائدي مع فنزويلا بل تربطهما علاقات تجارية واقتصادية، وأن تقاربهما وعلاقتهما القوية والمتينة ليست موجهة ضد أي بلد ثالث، ويتمتع البلدان بعلاقات إستراتيجية وتعاون في شتى المجالات منذ عام 2000، حيث سعى النظام الفنزويلي لجعل الصين المستورد الرئيسي للنفط الفنزويلي للتخفيف من حدة تبعية فنزويلا لسوق الولايات المتحدة الأمريكية، وتصدر فنزويلا قرابة 700 ألف برميل يومياً إلى الصين، وقد وقع البلدين ما يقارب 350 اتفاقية تعاون في المجالات الصناعية والاقتصادية والتجارية والزراعية والطاقة، وبناء مصفاة لتكرير النفط في ولاية غواريكو الفنزويلية، وإنشاء شركة نفط مشتركة لإنتاج المنتجات الهيدروكربونية في منطقة (جونين 8) لإنتاج 200 ألف برميل يومياً من المنتجات النفطية، واتفاقية أخرى تقوم الصين من خلالها بتقديم خبراتها في مجال التنقيب عن النفط في المياه الإقليمية الفنزويلية العميقة بالإضافة إلى تنفيذ مشاريع تنمية لتوليد الطاقة الكهربائية في فنزويلا، واتفاقية في مجال تربية الأسماك لتغطية احتياجات السوق الداخلية الفنزويلية، كما أنشأت فنزويلا والصين في عام 2006 صندوقاً استثمارياً بقيمة 6 مليارات دولار لاستخدامه في تمويل استثمارات في فنزويلا، قدمت الصين أربعة مليارات وفنزويلا مليارين، ويمكن للصندوق تمويل مشروعات في بلدان مجاورة في أمريكا اللاتينية، وبلغت القروض الصينية التمويلية لفنزويلا لغاية عام 2018 ما مقداره 62 مليار دولار، وتقوم فنزويلا بتسديدها على المدى المتوسط والطويل من النفط ومشتقاته.

كما ويشهد البلدان منذ عام 2005 تعاوناً في المجال العسكري عبر توقيع اتفاقيات لتوسيع الوفود العسكرية والدفاعية والبحرية والجوية، وتم تزويد فنزويلا بالأسلحة والمعدات العسكرية والتي تشمل دبابات برمائية وناقلات حربية برمائية ورادارات وأنظمة دفاع مضادة للطائرات، بالإضافة إلى مساهمة الصين في بناء البنى التحتية العسكرية والمنشآت الصناعية العسكرية وتبادل المعلومات والخبرات التكنولوجية¹، ويوجد تعاون في مجال الاتصالات، إذ أسهمت الصين في وضع القمر الصناعي " سيمون بوليفار" والقمر الصناعي الآخر " فرانسيسكو ميراندا" في الفضاء في خدمة فنزويلا.

المبحث الرابع: مستقبل الصراع في فنزويلا

على الرغم من الصراع الأمريكي/ الروسي- الصيني في فنزويلا، والتهديد الأمريكي بالتدخل العسكري للتخلص من النظام الفنزويلي اليساري الثوري، إلا أن السياسات الجديدة للإدارة الأمريكية إزاء التعامل مع قضايا وأزمات أمريكا اللاتينية تتم عبر استخدام الأدوات الناعمة، كما حصل في عزل رئيسة البرازيل ديلا روسيف في تصويت لمجلس الشيوخ البرازيلي، والأمر ذاته انتج في محاولة لمنع الرئيسة السابقة للأرجنتين كريستينا كيشنر من الترشح في الانتخابات الرئاسية في أكتوبر 2019، عبر فتح ملفات ضدها بما يسمى "دفاتر الفساد"، لذا تعد الإستراتيجية الجديدة للإدارة الأمريكية إحدى مصاديق ما صرح به الرئيس السابق باراك اوباما خلال زيارته إلى الأرجنتين في عام 2016، بان بلاده، بعد تورطها في دعم الانقلاب العسكري في الأرجنتين عام 1976، قد تعلمت الدرس من أخطاء الماضي ولم تعد الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها التي تدبر الانقلابات في محاولة لطمأنة دول أمريكا اللاتينية².

1. Asociacion Civil control ciudadano, Equipo de Investigacion y Analisis, mayo 2016/ Estudio de caso III, Acuerdos de cooperación militar 2005-2016, Venezuela, 2016 / Estudio de Caso, p. 16.

2. ميرفت عوف، بعد عزل رئيسة البرازيل..الولايات المتحدة تعود لتدبير الانقلابات في أمريكا اللاتينية، 18/5/2016، متوفر على الموقع التالي، www.sasapost.com

أولاً: التهديد الأمريكي بالتدخل العسكري لإسقاط النظام الفنزويلي

أطلقت أمريكا مبدأ مونرو، وهي عقيدة أعلنها الرئيس الأمريكي جيمس مونرو في العام 1823 والتي لا تسمح لأي دولة أوروبية أو دولة أخرى بإقامة مستعمرات في القارة اللاتينية ولا تسمح بالتدخل في الشؤون الداخلية لدول القارة، الأمر الذي برر لها تدبير الانقلابات وإسقاط حكومات ودعم أخرى موالية لها في القارة اللاتينية، كما أنشئت شبكات استخباراتية للتعاون مع الأنظمة الحاكمة في القارة لتصفية الخصوم السياسيين وللتصدي للهد الشيوعي آنذاك في القارة، وأسست صناديق مالية لتقديم المساعدات لدول المنطقة، واستمرت في التدخل في شؤون القارة حيث تمكنت من إسقاط الأنظمة في الباراغواي وغواتيمالا عام (1954)، مروراً بالبرازيل عام (1964)، ثم الدومينيكان عام (1965)، ومساعدة الجنرال بينوشيه للانقلاب على سلفادور ألييندي عام (1973)، وفي السلفادور عام (1979)، وبعدها التدخل في بنما عام (1989)، ويتم التعامل مع خرق مبدأ مونرو بأنه بمثابة اعتداء على الولايات المتحدة الأمريكية¹.

وقد تعاملت أمريكا بطريقة براغماتية فيما يخص ما يدور في حديقته الخلفية، إذ حافظت على ديمومة بقائها الشريك التجاري الأول لفنزويلا واستمرت في استيراد النفط الفنزويلي بمعدل أكثر من (مليون) برميل يومياً، لكن في الوقت ذاته كانت تراقب عن كثب حراك واتساع رقعة اليسار والاشتراكية في فنائها الخلفي، سيما وان فنزويلا وبالتعاون مع روسيا قامت بمناورات عسكرية بحرية وجوية لأكثر من مرة في الحوض الكاريبي منطقة النفوذ الأمريكي، وبما أن أمريكا لا تتهاون فيما يهدد أمنها القومي فقد سعت إلى إسقاط النظام الفنزويلي في المنطقة من خلال تدبير الانقلابات، والقيام بعمليات تخريب في قطاع النفط، ودعم الاحتجاجات والتظاهرات في الشوارع، وغلق الحسابات

1. مروان قبلان، مصدر سبق ذكره.

المصرفية لكثير من المسؤولين الفنزويليين، وفرض العقوبات وشن الحرب الاقتصادية لتدمير الاقتصاد وخلق أزمة إنسانية في فنزويلا¹، إذ وقعت خلف الاحتجاجات والاضطرابات التي عمت شركات النفط الفنزويلية عام 2000، والتي شارك بها 50 ألف عامل لكن تشافيز سيطر على الموقف وتجاوز الأزمة، ثم دبرت انقلابا ضده في عام 2002 وتم إبعاده عن السلطة لـ (73) ساعة لكنه استطاع إفشال المخطط والعودة إلى حكم البلاد²، واستمرت أمريكا في محاولات إضعاف السياسة النفطية لتشافيز من خلال ملاحقة فنزويلا في المحاكم الدولية لمصادرة أصول شركة النفط الفنزويلية ومطالبتها بتعويضات عن تأميم شركات النفط، إذ إن شركة اكسون موبيل في عام 2007، إحدى الشركات التي تم طردها بعد عمليات التأميم، وكان ريكس تيلرسون وزير الخارجية الأمريكي السابق مديرها التنفيذي للأعوام (2006 - 2016)، رفعت دعوى لمصادرة أصول لشركة النفط الحكومية الفنزويلية تقدر بـ (12) مليار دولار، لكنها منيت بالهزيمة القانونية أمام المحاكم الانكليزية³، وهذا ما يفسر نقمة وعداء تيلرسون للنظام الفنزويلي والتحريض على إسقاطه.

وقد بانت نوايا الولايات المتحدة في التخطيط لهجوم عسكري على فنزويلا في عدة مناسبات، إذ أشار تقرير القيادة الجنوبية للولايات الأمريكية (-USSOU THCOM)، وهي الوكالة العسكرية المسؤولة عن كل أمريكا اللاتينية من جنوب المكسيك إلى الأرجنتين، بما في ذلك منطقة البحر الكاريبي، ويقع مقرها في ميامي ولديها موظفون دائمون يبلغ عددهم 1200 من أفراد عسكريين وموظفي خدمة مدنية، المرفوع إلى لجنة الخدمات العسكرية في مجلس الشيوخ الأمريكي في عام 2016، ضرورة استعادة السيطرة الكاملة على منطقة البحر الكاريبي بما فيها فنزويلا، وإن فنزويلا تمر بفترة عدم استقرار سياسي ووضع إنساني واقتصادي متدهور له تأثيرات على المنطقة مما يستدعي تدخلا عسكريا متعدد الجنسيات تقوده منظمة الدول الأمريكية (OAS).- وتحت خطة تسمى (عملية تحرير فنزويلا 2)⁴،

1. Venezuela y Estados Unidos: pulseada por el petróleo, Hispatv, 23 /4/2017, disponible sur www.hispantv.com
 2. انقلاب فنزويلا الفاشل لطمه على وجه أمريكا، بتاريخ 19/4/2002، متوفر على الموقع التالي <https://www.albayan.ae>
 3. EEUU, el petróleo venezolano y la piedra en el zapato de Tillerson, alai, 12/2/2018, disponible sur www.alainet.org/es
 4. Venezuela y Estados Unidos: pulseada por el petróleo, Op Cit.

في السياق ذاته، أعلنت إدارة الرئيس دونالد ترامب في عام 2017، أنها بصدد إعادة هيكلة سياستها تجاه الأمريكيتين بما ويتسق مع مبدأ مونرو¹، وحاول ترامب إقناع مسؤولي الأمن القومي بضرورة شن هجوم عسكري على فنزويلا، كذلك صرح وزير الخارجية الأمريكي ريكس تيلرسون قبل قيامه بجولة عام 2018، شملت خمس دول لاتينية (المكسيك والأرجنتين والبيرو وكولومبيا وجامايكا)، إن الصين عبر استثماراتها في القارة، وروسيا عبر وجودها المقلق في المنطقة وبيعها السلاح إلى أنظمة لا تحترم القيم الديمقراطية، إنما يستحضران الاستعمار الأوروبي للقارة اللاتينية، وأن النظام الفنزويلي الفاسد والعدائي سبب خيبة أمل لسكان المنطقة، وأنه لا يستبعد انقلاباً عسكرياً في فنزويلا لأن في تاريخ فنزويلا وأمريكا اللاتينية الجيش يحسم الأمر عندما تسوء الأحوال².

ثانياً: المخاوف الأمريكية من شن الهجوم العسكري على فنزويلا

على الرغم من التقارير العسكرية للقيادة الجنوبية المسؤولة عن أمريكا اللاتينية، ودعوة الرئيس ترامب وكذلك موضوع الصور التي تناقلتها وكالات الإخبار فيما يخص تدوين مستشار الرئيس الأميركي لشؤون الأمن القومي، جون بولتون، رقم " 5 آلاف جندي إلى كولومبيا" في دفتر ملاحظاته إثناء مقابلة صحفية في العام³، 2019، والتي تشير جميعها إلى ضرورة شن هجوم عسكري على فنزويلا، إلا إن مؤشرات عديدة توحى بأن لدى أمريكا مخاوف بهذا الخصوص، ويمكن إيجازها على الشكل الآتي:

1 - إن القيام بمغامرة عسكرية في الفناء الخلفي للولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن يؤدي إلى تدويل القضية اللاتينية، ويعطي ذريعة لروسيا والصين في تعزيز وجودها العسكري في القارة وجلب أساطيلهما البحرية والجوية إلى البحر

1. Venezuela revolucionaria ante la geopolítica internacional, 27/8/ 2017, disponible sur <https://www.aporrea.org>

2. تيلرسون يشبه الصين بالاستعمار الأوروبي، بتاريخ 2/2018/ متوفر على الموقع التالي www.wattan.tv/ar

3. "خمسة آلاف جندي إلى كولومبيا.. ماذا يقصد بولتون؟"، بتاريخ 29/1/2019، متوفر على الموقع التالي www.alhurra.com

الكاربي والأطلسي لمساعدة الحليف فنزويلي الذي يملك قرابة 250 ألف مقاتل إلى جانب قرابة نصف مليون عنصر من الميليشيات، كما يمتلك الجيش الفنزويلي أسلحة روسية متطورة مثل (اس 300) مما يعزز مشروعية التحالف الروسي الفنزويلي في منطقة النفوذ الأمريكي، وستكون الفرصة سانحة لروسيا في إعادة التوازن الجيوسياسي مع أمريكا، عبر نشر صواريخ في القارة اللاتينية، سيما وان أمريكا انسحبت من معاهدة الصواريخ النووية متوسطة المدى في العام 2019¹.

2 - لن تجازف أمريكا بخسارة المكاسب التي حققتها في القارة اللاتينية بعد العام 2015، حيث أثمر الحراك الأمريكي عن عودة تيار اليمين إلى القارة، حيث فازت المعارضة الفنزويلية بأغلبية ساحقة في البرلمان الفنزويلي في عام 2015، وأنتهت احتكار حزب اليسار على البرلمان على مدى 16 عاما، كما فاز اليميني ماوريسيو في الأرجنتين عام 2015، وتم عزل اليسارية ديها روسيف عن السلطة في البرازيل عام 2016، وتلاها صعود وفوز الحكومات اليمينية في الشيلي والبيرو وكولومبيا والأوروغواي والباراغواي على حساب خسارة وانحسار اليسار في المنطقة.

3 - يمكن أن يعطي التدخل العسكري في فنزويلا جرعات ثورية للحركات اليسارية المسلحة، الحليفة لفنزويلا، والموجودة في القارة اللاتينية، إلى توحيد صفوفها ضد التدخل الأمريكي، حيث يوجد قرابة 40 ألف عنصر استخباراتي كوبي في فنزويلا، بالإضافة إلى عناصر من حركة الفارك المسلحة، وكذلك جيش التحرير الوطني الكولومبي، في غابات الأمازون، وبالتالي فان جميع تلك الحركات هي الأقرب إلى روسيا أو بالأحرى حليفة لها، وقادرة على إشعال الفوضى في القارة اللاتينية.

4 - لا يوجد بلد في القارة اللاتينية قادر على دفع تكاليف الحرب كما هو الحال في اندلاع الحروب في الشرق، فنزويلا نفسها لن تستطيع فعلی الرغم من وجود احتياطات هائلة إلا إن نبتها من النوع الثقيل الذي يحتاج إلى تكاليف عالية لاستخراجه، وهذا ما يفسر لنا إلى انخفاض معدل تصدير النفط الفنزويلي من

1. واشنطن تنسحب رسميا من معاهدة الصواريخ القصيرة والمتوسطة مع موسكو، بتاريخ 2/8/2019 متوفر على الموقع التالي. www.aljazeera.net/news

قراة (3) مليون برميل يوميا في عام 2000 إلى (1.4) مليون برميل يوميا في عام 2018، يضاف إلى ذلك إن حلفاء أمريكا (كولومبيا والبرازيل) المجاورين لفرنزويلا سيتضرران كثيرا من الحرب، فالأولى أنهكتها أقدم وأطول حرب في القارة مع حركة الفارك المسلحة على مدى 50 عام، والثانية لديها حدود طويلة مع (12) دولة، ولديها أراضي شاسعة في غابات الأمازون لذا إن عملية السيطرة على حدودها سيشكل مخاطرة وتحدياً كبيراً.

5 - إن الإدارة الأمريكية طرحت "صيغة آريا" في التعامل مع الأزمة الفنزويلية، وهي إستراتيجية ناقشتها أمريكا في شهر ستمبر 2018، خلال ترأسها لمجلس الأمن، وصيغة آريا نسبة إلى ديفغو آريا، السفير السابق والرئيس السابق لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، والمسؤول الكبير السابق في بنك التنمية للبلدان الأمريكية، والحاكم السابق لكاراكاس، والنائب السابق، والمستشار السابق للأمين العام للأمم المتحدة في ذلك الوقت، كوفي عنان، وهو الآن عضو في تحالف المعارضة (Soy Venezuela)، وفخاها استخدام قوة الردع للتعامل مع الأزمات لضمان نجاحها ولحلها بأقل الخسائر، إذ يصف آريا (قوة الردع) بمثابة عرض تقدمه المافيا لا يمكن رفضه وإلا تعرضت لتداعيات حتمية، ويستشهد آريا بمثال حصل في حرب الخليج الثانية كدليل على نجاح تلك الصيغة، إذ يذكر أن عقيدا بريطانيا، خلال اجتماع مع ضباط من جنسيات مختلفة في قوات التحالف آنذاك، أشار إلى أن جميع الهواتف المحمولة (ثريا) للضباط العراقيين في كافة المستويات كانت بحوزة التحالف وتم الاتصال بهم لإخبارهم بما سيحدث في الهجوم على العراق وتم اطلاعهم على العواقب التي ستلحق بهم جراء ذلك الهجوم، وبعد (48) ساعة من بدء الحرب اختفى 70% من الضباط العراقيين وتركوا مواقعهم ولم يكن يتطلب الأمر قتالهم، وبذلك تمكنت قوات التحالف الدخول إلى بغداد خلال ساعات¹.

1. Ni China ni Rusia intervendrán por Venezuela, PANAM POST, 2018/9/16, disponible sur <https://es.panampost.com>

الخاتمة

إن تداعيات الأزمة الفنزويلية انعكست على الساحة الإقليمية والدولية، لذا ليس من الصحيح النظر إلى القضية على أنها أزمة داخلية جاءت نتيجة للسياسات الخاطئة للنظام الفنزويلي، مع انه يتحمل جزءا كبيرا من أسبابها من إهدار ثروات البلاد إلى تفشي الفساد والجريمة مروراً بسياسات التدخل بالشؤون الداخلية للبلدان ودعم الحركات الثورية المسلحة، لكن يبقى الجزء الأكبر من أسباب الأزمة هو أهمية فنزويلا ودورها المؤثر في ضبط إيقاع حركة التوازنات الجيوسياسية والجيواستراتيجية العالمية الواقعة في دائرة تنافس القوى العظمى وبالتالي يمكننا إن نختم الموضوع بجملة من الاستنتاجات:

1 - تأتي الأزمة الفنزويلية ضمن سياق حركة التوازنات العالمية، وهي امتداد للازمات الدولية، الأزمة الأوكرانية والأزمة السورية، في تنافس القوى العظمى، معسكر أمريكا وأوروبا ومعسكر روسيا والصين، في السيطرة على مصادر الطاقة العالمية، وفرض التوازن الجيوسياسي والجيواستراتيجي العالمي لتحقيق التعادل النسبي المتكافئ بين المعسكرين، إذ أن الحضور الأمريكي في دول تحيط بروسيا والصين سيقابله تعزيز الأخيرين حضورهما لأمد طويل في الحديقة الخلفية لأمريكا.

2 - ستبقى أمريكا تراهن على إحداث انشقاقات في المؤسسة العسكرية الفنزويلية وإقناع القيادات العسكرية بالتخلي عن دعم النظام، تختيار وحيد لإبعاد الوجود الروسي والصيني عن فنزويلا، وذلك مستبعد لان الميليشيات الفنزويلية، والقوات الكوبية في فنزويلا، والحركات المسلحة الحليفة لفنزويلا كفيلة بالقضاء على أي انشقاق عسكري، سيما وان قوة من الجيش أقدمت على الانقلاب على نيكولاس مادورو واحتلت قاعدة جوية في العاصمة كاراكاس في شهر ابريل/2019، لكن المحاولة أحبطت من قبل الجيش الفنزويلي.

3 - إن التنافس الدولي في فنزويلا لن يؤدي إلى اندلاع حرب في القارة اللاتينية، وان أمريكا ستلجأ إلى صيغة آريا، بالتلويح بالقوة دون استعمالها في

التعاطي مع الأزمة، لان التدخل العسكري سيدفع باتجاه إشعال الحرائق والفضى وتدويل قضايا القارة اللاتينية وذاك سيعطي مسوغاً لروسيا والصين وإيران في تعزيز حضورهم في البحر الكاريبي والقارة اللاتينية.

4 - سيبقى الحال على ما هو عليه في فنزويلا إلى أمد طويل، في مقاطعة أمريكا وحلفائها لفنزويلا سياسياً واقتصادياً وتجارياً، وسعيهم إلى فرض حصار طويل عليها أسوة بكوبا، كي يكون الأمر بمثابة تحذير لأنظمة دول المنطقة بان مصيرها سيكون محتوم في حال قررت استنساخ تجربة هاتين الدولتين في التقارب والتعاون مع روسيا والصين، أو التفكير في بناء قواعد عسكرية لتلك الدول على أراضيها.

الحركة التشافيزية والحركة المضادة لها في ضوء الأزمة الفنزويلية الراهنة

د. محمد نعيم

باحث بمركز الدراسات والأبحاث
في العلوم الاجتماعية/المغرب

كما جرت الإشارة إلى ذلك في التقرير السياسي لأمريكا اللاتينية للعام 2018¹، فإن موضوع الحركات الاجتماعية ما فتئ يحظى بأهمية متنامية، ليس في العالم العربي فحسب، بل في كل أرجاء العالم، منذ انطلاق الموجة الأولى من ثورات وانتفاضات الربيع العربي عام 2011. أما الذي يبرر حالياً الانشغال العربي المتزايد بالحركات الاجتماعية وبمكائنها وأدوارها في الحياة السياسية لبلدان أمريكا اللاتينية، فهو السياق الراهن الذي يعيشه العالم العربي مع تصاعد الموجة الثانية لانتفاضات الشعوب العربية منذ عام 2018 في السودان، وبدءاً من سنة 2019 في كل من الجزائر ومصر والأردن والعراق ولبنان.

وكما كان الأمر في الموجة الأولى سنة 2011 (تونس، مصر، اليمن، ليبيا، سوريا، المغرب، الأردن، البحرين، موريتانيا)، فإن انتفاضات وثورات الموجة الثانية المندلعة منذ 2018، تهدف من خلالها الشعوب العربية إلى استعادة زمام المبادرة من أجل تقرير مصيرها وفق إرادتها. وعلى عكس حالات التغيير السياسي التي شهدتها العالم العربي منذ تخلص بلدانه من الاستعمار، فإن هذه الانتفاضات والثورات ليست موجهة ضد عدو أجنبي، كما أن مطالبها تفرق الحاجات المادية للمواطنين بالقضايا اللامادية كالحرية والكرامة والديمقراطية. أما المحرك الرئيس لها، فليس هو الأحزاب السياسية أو الجيش، رغم أهمية الأدوار التي يقوم بها هذا الأخير، بل هو الحركات الاجتماعية.

بناءً على ما سبق، ومن أجل استخلاص الدروس والعبر من تجارب دول أخرى خاصة في أمريكا اللاتينية، ستسلط الورقة الحالية الضوء من زاوية

1. محمد نعيم، تحولات الحركات الاجتماعية بأمريكا اللاتينية، التقرير السياسي لأمريكا اللاتينية للعام 2018، مكتبة قرطبة-وجدة، 2019، ص 42.

سوسيولوجيا الحركات الاجتماعية على الأزمة السياسية الراهنة التي تتخبط فيها فنزويلا منذ تولي نيكولاس مادورو Nicolás Maduro الحكم سنة 2013 عقب وفاة هوغو تشافيز Hugo Chávez. لذلك، تعتمد الدراسة على مفهومي الحركة الاجتماعية والحركة المضادة لتحليل الصراع المحتدم بين أنصار الحركة التشافيزية «chavistas» ودعاة الحركة المضادة للتشافيزية «anti-chavistas». وتفترض الورقة أن الأزمة السياسية الفنزويلية، لا يمكن اختزالها لا في عوامل داخلية اقتصادية سياسية واجتماعية، ولا في عوامل خارجية ودولية كما يذهب إلى ذلك عدد الباحثين والدارسين. وإنما تفسيرها يتوقف على الربط الجدلي بين هذين الصنفين من العوامل مع إعطاء أهمية أكثر لما هو داخلي.

إذا كان مفهوم الحركة الاجتماعية يشمل ظواهر متكامل فيها أبعاد ثلاثة، بعد جمعي وآخر صراعي وثالث يخص التوجه نحو التغيير الاجتماعي¹، فإن مفهوم الحركة المضادة Contre-mouvement عادة ما يُستخدم في سوسيولوجيا الحركات الاجتماعية لبيان العلاقات الصراعية الداخلية التي تعتمل داخل أي فضاء احتجاجي. غير أن الأمر لا ينحصر فقط في تعبئة مشاعر مضادة إلى حد ما تجاه حركة معينة²، وإنما يجب تجاوز ذلك إلى تحديد الميكانزمات التي تحكم عملية التعبئة والتعبئة³ بخصوص حركات مترابطة من جراء تصارعها. إحدى هذه الميكانزمات التي يمكن ملاحظتها، أن تعبئة حركة مضادة تكون في الغالب نتاجا لتطور خصمها أو نجاحه. فإلى أي حد ينطبق هذا المفهوم على حالة الحركة المضادة للتشافيزية؟

وحرى تسجيله أن فنزويلا، إلى حين وصول الرئيس تشافيز إلى السلطة في دجنبر 1998، لم تكن تحظى إلا باهتمام قليل سواء من طرف الجمهور عموما، أو من قِبَل المختصين بشؤون أمريكا اللاتينية على وجه الخصوص. إلا أنها ستصبح في بضع سنين تستقطب أنظار المحللين السياسيين بسبب الطابع المفارق وغير المألوف والأصيل في نفس الوقت للأحداث التي وقعت فيها. فمع فوز تشافيز في الانتخابات

1. Lilian Mathieu, L'espace des mouvements sociaux, Paris: Éditions du Croquant, 2012, p.12.

2. Mayer Nathan Zald, Bert Useem, Movement and Countermovement Interaction : Mobilization, Tactics and State Involment, in J.D. McCarthy, M.N. Zald, Social Movement in an Organization Society, Transaction Books, 1987, p.249.

3. Mayer Nathan Zald, Bert Useem, op.cit. p.247.

الرئاسية، سيصير البلد فجأة موضوع اهتمام وفضول. ويرجع سبب ذلك عموماً إلى شخصية هذا الزعيم الكاريزماتية الذي يحير ويمتّع بطرفه وتصريحاته المثيرة، ولكن أيضاً بسبب الرهانات التي تطرحها على الساحة الدولية نظرة سياسية غير مألوفة في المنطقة¹.

الحركة التشافيزية

تُحِيل التشافيزية قبل كل شيء على حركة اجتماعية، وعلى حكومة وعملية سياسية داخلية في فنزويلا. وتندرج في سياق لاتينو أمريكي، بحيث أنها تجيب عن رهانات سوسيوسياسية خاصة. اقترنت الحركة التشافيزية باشتراكية معينة، أولاً لأن تشافيز نفسه يُعرّفها كانتقال نحو اشتراكية القرن الحادي والعشرين؛ ثانياً بسبب تقاربه الدال مع الحكومة الكويتية، ونزع ملكية الشركات المتعددة الجنسيات. ناهيك عن الإصلاحات الاجتماعية وعن تضامنه العضوي مع الفئات الشعبية². في هذا الصدد، كان هانز ديتريش ستيفان³ Heinz Dieterich Steffan، مُنظّر اشتراكية القرن الحادي والعشرين، يعتبر أن هذا المنظور هو بمثابة بديل للفراغ الذي كان يعانيه المشروع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للحركات المناهضة للعملة إبان سنوات التسعينيات من القرن الماضي. فبرأيه، كانت الشروط مجتمعة في فنزويلا وفي غيرها من البلدان من أجل تجاوز الاقتصاد الرأسمالي والديمقراطية التمثيلية نحو اقتصاد اشتراكي وديمقراطية تشاركية⁴.

لكن رغم الخطوات التي خطاها تشافيز على هذا النهج، فإن الحكومة التشافيزية لم تسلك نفس الطريق. فعلى المستوى الاقتصادي، ظلت التشافيزية في إطار رأسمالي، يُنظر إليها تارة كرأسمالية دولة، وتارة أخرى كاشتراكية ريعية. يتجلى المحور الاشتراكي لهذا المشروع في إعادة تملك الموارد النفطية للبلاد وإعادة توزيع مداخيلها، خاصة عبر سياسات اجتماعية تستهدف الأوساط الشعبية. لذلك، فإن هذا المحور يندرج ضمن تصور إنمائي لمشروع تحديث وتنمية موجهين من طرف الدولة ومن طرف بورجوازية وطنية⁵.

1. Lemogodeuc Jean-Marie, la crise vénézuélienne (2001-2003) : origines structurelles et conjoncturelles, in Caravelle, n°81, 2003, p.247.

2. Malik Tahar-Chaouch, Le chavisme après Chavez, 10 avril 2013, consulté le 07/12/2019, indigenes-republique.fr.

3. هو سوسيوولوجي من ألمانيا الشرقية مقيم حالياً بالمكسيك. سبق له أن كان مستشاراً لهُوغو تشافيز إلى حدود عام 2007.

4. Tahar-Chaouch, op. cit.

5. Ibid.

لقد بلغ هذا الاختيار الاقتصادي أوجه إبان سنوات 1930-1970 بأمريكا اللاتينية، أي قبل تغلغل السياسات النيوليبرالية في المنطقة في حقبة الثمانينيات والتسعينيات. وقد شهدت هذه الحقبة الأخيرة نهاية دورة الدكتاتوريات والانقلابات وبداية الفرض التدريجي والممنهج للنيوليبرالية في كل البلدان من طرف الطبقات السياسية المحلية المحافظة بإيعاز من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي في إطار ما عُرف ببرنامج التقييم الهيكلي. وكما هو معروف، فقد كان من تداعيات هذه البرامج النيوليبرالية، تفشي الفقر واللامساواة الاجتماعية وفساد الأنظمة والنخب السياسية وإقصاء شرائح عريضة من المواطنين، خاصة جماعات السكان الأصليين¹.

مما لا شك فيه أن حصيلة المسار البوليفاري الذي انتهجه تشايفز تعتبر إيجابية على أكثر من صعيد. فعلى عكس الحكومات السابقة التي جعلت فنزويلا إحدى البلدان التي كانت فيها الفوارق الاجتماعية ونسب الفقر الأعلى في العالم، كان قسط كبير من الريع النفطي يُستعمل في تمويل برامج السياسة الاجتماعية. يُذكر منها على سبيل المثال، برنامج توزيع الأغذية المدعمة Mercal؛ شبكات توزيع الأدوية المدعمة Farmapa؛ سياسة الإدماج والتربية على جميع المستويات وتوزيع الكتب والحواشيب مجاناً؛ ناهيك عن السكن الاجتماعي والحماية الاجتماعية². لذلك، تُعد فنزويلا هي البلد الذي عرف فيه الفقر انخفاضاً جدياً مذهلاً في أمريكا اللاتينية بحسب اللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية التابعة للأمم المتحدة. فقد انتقلت نسبة الفقر فيه من 48,6% سنة 2002 إلى 27,8% عام 2010، ومن 22,2% إلى 10,7% فيما يتعلق بالفقر المدقع. هذا فضلاً عن خلق فضاءات للمشاركة الشعبية، لا سيما من خلال آلاف المجالس الجماعية أو التعاونيات الفلاحية المنبثقة من الإصلاح الزراعي. أما على مستوى مدونة الشغل، فإن إصلاح 2012 الذي أنجزه تشايفز يُعد الأكثر تقدمية في القارة. فمن بين أهم ما تضمنه، الاعتراف بحق الحماية الاجتماعية لربات البيوت؛ تقليص زمن الشغل بدون فقدان الأجر من 44 إلى 40 ساعة، ومن 42 إلى 35 ساعة ليلاً؛ تشديد العقوبات بصدد مخالفات تشريع الشغل، خصوصاً في حالة انتهاك

1. محمد نعيم، تحولات الحركات الاجتماعية بأمريكا اللاتينية، مرجع سابق، ص 7.

2. Maurice Lemoine, Venezuela : les électeurs ont « confisqué » la démocratie, octobre 2012, monde-diplomatique.fr.

حق الإضراب. ناهيك عن ترافق إصلاح مدونة الشغل بزيادة جديدة في الحد الأدنى للأجور الذي أصبح فعليا هو الأعلى في المنطقة¹.

مع ذلك، توجّه عدة انتقادات للمسار البوليفاري كما للطبقة السياسية خلال فترة حكم تشافيز. ويمكن أن نضرب كأمثلة على ذلك: الفساد المستشري خاصة في صفوف محافظي الولايات؛ البيروقراطية وعدم الفعالية وضعف مأسسة السياسات العمومية وانعدام انتاجية مقاولات الدولة؛ انعدام الأمن، خاصة في المدن وتفشي الجريمة رغم بعض أوجه التقدم الحاصل مع الإصلاح الأخير لجهاز الشرطة وبداية الاهتمام بالظاهرة؛ ضعف هيكلية الحركة النقابية؛ الحضور القوي لشخصية تشافيز وما يترتب عنه من شخصنة السلطة؛ وأخيرا التثبث بنموذج ريعي للتنمية والدولة أتاحتها وفرة النفط².

فيما يتعلق بمكونات الحركة التشارفوية، يجري غالبا التمييز بين ثلاث قطاعات: شبكات التنظيمات الشعبية الجماعية؛ الحزب الاشتراكي الموحد فنزويلا؛ وقطب المقاولين العسكريين. أما النقابات، فلم يكن لها أي دور مركزي، لا سيما بسبب غلبة الاقتصاد غير المهيكل في فنزويلا، الأمر الذي نجم عنه تأطير غير رسمي للتنظيمات الشعبية تحت القيادة المباشرة لزعيم الثورة البوليفارية. في هذا السياق، كان مادورو كوريث لتشافيز على مستوى رئاسة الجمهورية، يرتبط عضويا بالحزب الاشتراكي الموحد فنزويلا. ورغم أن تشافيز كان يعتبره الأكثر إخلاصا لمشروعه، إلا أنه كان على مادورو أن يأخذ بالحسبان قطب المقاولين العسكريين. أما قطاع التنظيمات الشعبية، فرغم كونه الأضعف سياسيا، إلا أن عناصره الأكثر جذرية، تتدد ببيروقراطية الدولة وبمافيات تشافيزية اليمين التي اغتنت وتعمل على تحريف الثورة البوليفارية عن مبادئها³.

لم يكد يمضي نحو عام على انتخاب مادورو رئيسا للبلاد في 14 أبريل 2013 بعد وفاة تشافيز، حتى تلقى الاقتصاد الفنزويلي ضربة قاصمة جراء انخفاض سعر برميل النفط في السوق العالمية بنسبة 55%. استمر هذا الانخفاض حتى سنة

1. Franck Gaudichaud, Les tensions du processus bolivarien : nationalisme populaire, conquêtes sociales et capitalisme rentier, N°588-589, décembre 2012, consulté le 08/11/2019, inprecor.fr.

2. Franck Gaudichaud, ibid.

3. Tahar-Chaouch, op. cit.

2016 مُجَفِّفًا بالمناسبة اقتصادا فنزويليا يتوقف كلياً على إنتاجه النفطي الذي يمثل ثلثي إيرادات الدولة. بالموازاة مع هذا السياق الاقتصادي الصعب، شهدت البلاد أزمة سياسية كبرى منذ تولي مادورو الحكم، بعد فوزه بالكاد بنسبة 50,66% من عدد الأصوات. لذلك، وجد الزعيم الجديد صعوبة جمّة في ملء الفراغ الذي تركه سلفه الكاريزماتي. وسرعان ما توجب عليه مواجهة الاحتجاج الشعبي بسبب تراكم المشاكل الاقتصادية. في هذا الصدد، فإن التجمهرات الأولى المنظمة بدءاً من فبراير 2014 للمطالبة برحيله، واجهتها الحكومة بقمع عنيف أدى إلى مقتل 43 شخصاً وجرح عديد المحتجين. تلا تلك الأحداث، تصدّر المعارضة للاستحقاقات التشريعية بأغلبية الثلثين في دجنبر 2015. شكل هذا الفوز منعطفاً غير متوقع في مسار تطور الحركة التشافيزية، بحيث أنه لأول مرة طيلة 17 سنة تتمكن فيها الحركة المضادة للتشافيزية من الحصول على أغلبية مقاعد البرلمان¹.

تلك كانت صورة مركزة عن نشأة الحركة التشافيزية ومشروعها الإيديولوجي والسياسي والاقتصادي، فضلاً عن أهم الأقطاب المكونة لها وعن التحولات التي بدأت تعترى الحركة بعد انتقال مشعل الثورة البوليفارية من يد تشافيز كزيم كاريزماتي كبير إلى يد مادورو تكلف أقل كاريزمية. فإذا عن الحركة المضادة للتشافيزية؟

الحركة المضادة للتشافيزية

ترجع الإرهاصات الأولى لنشأة الحركة المضادة للتشافيزية إلى أواخر تسعينيات القرن الماضي. في هذا الصدد، يمثل الفشل الانتخابي للأحزاب القديمة المهيمنة²، الذي لم يكبح وصول تشافيز إلى سدة الحكم عام 1998، بداية لمتوالية من الدورات بين أقطاب الشارع وأقطاب الاقتراع في صفوف المعارضة الناشئة. إن الشك

1. Romain Reverdy, Nicolas Maduro, Juan Guaido : deux présidents pour un Venezuela, 13/02 /2019, consulté le 28/11/2019, reforme.net.

2. Partis hégémoniques ، بالمعنى الذي يعطيه جيوفاني سارتوري Giovanni Sartori لتنظيم حزبي يشتغل في سياق نسق غير تصافسي. لذلك، شكل وصول تشافيز إلى السلطة نهاية حقبة تاريخية كان يهيمن عليها "ميثاق بوتو فيخو" « Pacte de Punto Fijo منذ 1958. وهو اتفاق سياسي جمع، بعيداً عن الحزب الشيوعي الفنزويلي، بين ثلاثة أحزاب فنزويلية كبرى هي: حزب العمل الديمقراطي (AD, Acción Democrática)، الحزب الديمقراطي المسيحي (COPEI, Comité de Organización Política Electoral Independiente)، وحزب الاتحاد الديمقراطي الجمهوري (URD, Unión Republicana Democrática). وكان هذا الاتفاق يلزم هذه الأحزاب بالاحترام المتبادل لنتائج انتخابات دجنبر 1958. وبمغادرة هذا الحزب الأخير للتحالف الحكومي أواخر 1960، الأمر الذي حوّل الحقل السياسي الفنزويلي إلى ثنائية حزبية بين حزب العمل الديمقراطي والحزب الديمقراطي المسيحي إلى حدود انهيارهما التام بعد انتخاب تشافيز رئيساً للجمهورية بأغلبية ساحقة سنة 1998.

في إمكانية وجود مخرَج انتخابي من الوضعية السياسية وقتئذ، أدى بقطاعات اجتماعية واسعة إلى البحث عن أشكال أخرى لمعارضة النظام. وخلال الصراعات السياسية القوية ما بين 2001 و2004، تراجعت الأحزاب إلى الصف الثاني من النضال، وجرى تعويضها بتجمع لزعماء أرباب عمل ونقائين ينتمون إلى قطاع الصناعة البترولية وإلى منظمات أخرى¹.

خلف التماسك الظاهر لهذه المعارضة، كانت تجتمع عدة عناصر متنافرة للحياة السياسية والاجتماعية للبلاد. لذلك، قد يكون من المستحيل محاولة إيجاد خط سياسي مشترك أو مشروع سياسي حقيقي: وهنا مكن ضعفها الفعلي. كما أنها لم تقدم مخططا حكوميا واحدا كبديل لسياسات تشايفيز. لذلك، فما يسمى معارضة يُحتزَل في استعمال خطاب سياسي سلبي، ويتلخص مقترحها السياسي الوحيد في المطالبة باستقالة الرئيس آنذاك².

عقب إخفاق احتجاجات 2002 ومحاولة الانقلاب في 11 أبريل من نفس العام، بسبب معارضة كان يقودها فاعلون سياسيون غير مؤهلين، حاولت المعارضة السياسية والاجتماعية أن تتوحد تحت لواء التنسيق الديمقراطية التي تأسست وقادت الإضراب العام في نفس السنة. بيد أن فشل الإضراب يؤشر على محدودية الطموح الذي كان يحرك تلك الجماعات الراغبة في الحلول محل الأحزاب. لقد كانت تكتفي بالأمل في أن يتمكن التقنوقراط والجمعيات المهنية من قلب النظام على المدى القصير اعتمادا على شل إنتاج النفط. من تداعيات ذلك، أن انقسام المجتمع المدني إلى قطبين متصارعين، أحدهما مؤيد للنظام والآخر معارض له، ما فتئ يحو الحدود الفاصلة بين المجتمع المدني والحقل السياسي. فالقوى المؤيدة للحكومة، تخضع لتوجيهات الحزب الاشتراكي الموحد لفرنزويلا والدولة؛ أما بخصوص بعض المعارضين، فقد كانوا يعتبرون أنفسهم في طليعة النضال³.

بعد فشل مفاوضاتها مع الحكومة، دعت التنسيقية الديمقراطية إلى التعبئة

1. Luis Gómez Calcaño, Exister, est-ce résister ? «Société civile» et protestation, Revue Les Temps Modernes, n°697, mars 2018, p.118.

2. Miguel Angel Pérez Pirela, Brève histoire de l'« impasse » vénézuélienne. Les enjeux symboliques, Presses Universitaires de France, Cités, 4-2006, n°28, p.178.

3. Luis Gómez Calcaño, op. cit.

من أجل المطالبة باستفتاء لإقالة الرئيس، في عودة واضحة إلى الخيار الانتخابي. غير أن الاستفتاء جاء لصالح تشافيز في غشت 2004. إذا كانت الأحزاب قد حاولت توحيد المعارضة وإبعادها عن استراتيجية التمرد، فإن القطاعات الأكثر تجذرا في الموقف المضاد للأحزاب حتمت هذه الأحزاب مسؤولية كل الإخفاقات السياسية للمعارضة في هذه الفترة. كما أن مشاركة أبرز هذه الأحزاب في الانتخابات الرئاسية لعام 2006، والتي أعيد فيها انتخاب الرئيس تشافيز بكيفية مريحة، أضفت الشرعية على مؤسسات النظام. بيد أن الاستفتاء الدستوري لعام 2007 حول إعادة انتخاب الرئيس لعدة ولايات، عرف أول انتصار للمعارضة في عهد تشافيز، رغم صغره. جرت منذئذ، العودة إلى تميز أكثر وضوحا للأدوار الخاصة بالأحزاب السياسية والمجتمع المدني. فهذا الأخير هو بمثابة حليف، لكن لا يتمتع بسلطة تقريرية تساوي سلطة الأحزاب¹.

بناءً على هذه التجارب الانتخابية المختلفة، سيجري في سنة 2008 تأسيس ائتلاف طاولة الوحدة الديمقراطية². أما حاليا فتمتيز الحركة المضادة للشفافية بكونها تشمل كافة قوى المعارضة التي تمكنت من تجاوز انقساماتها الداخلية والوقوف خلف زعيم واحد للمرة الأولى منذ عدة سنوات، هو خوان غوايدو³ Juan Guaidó. قام هذا الشاب، الذي كان نكرة لدى معظم الفنزويليين وخاصة في المجتمع الدولي، في يوم 23 يناير 2019 بإعلان نفسه رئيسا مؤقتا لفنزويلا ثمانية عشر يوما فقط بعد تعيينه رئيسا للجمعية الوطنية. ومباشرة بعد ذلك، جرى الاعتراف به من طرف ترامب الذي سرعان ما تبعته دول أخرى.

بخصوص أهداف المعارضة في هذه المرحلة، فهي على الخصوص كما يلي: الإمعان أكثر في الاستنزاف السياسي الحالي للنظام وفي تعميق لاشريعة مادورو وطغمته الحاكمة؛ إرساء إدارة سياسية جديدة في البلاد عبر توحيد أحزاب المعارضة

1. Luis Gómez Calcaño, op. cit. p.119.

2. (Mesa de la Unidad Democrática)، يتعلق الأمر بتحالف سيجتمع أحزاب المعارضة في الانتخابات ابتداء من عام 2010. ويضم حوالي ثلاثين حزبا أغلبها من اليمين. ورغم اتفاقها على معارضة النظام، فإن هذه الأحزاب تعاني من الفرقة والانقسام الداخلي خصوصا بين الجناح "المعتدل" الذي يمثلته إنريكي كابريليس، وآخر يوصف بـ "المتشدد" بقيادة ليوبولدو لوبيز.

3. انحدر غوايدو من العمل السياسي عندما كان طالبا في الجامعة، حيث كان من الزعماء الطلابيين في حركة "جيل 2007" المعارضة لشافيز رئيس فنزويلا آنذاك. بعد ذلك، انتقل إلى العمل السياسي المؤسسي، حيث أحرز مقعدا في استحقاقات 2011 التشريعية، ثم أعيد انتخابه سنة 2016. وفي الوقت الذي كان فيه جل زعماء المعارضة مثنيين ومقصبين من قبل العدالة، تصدر غوايدو، الذي كان قبل أيام في الصف الثاني للمعارضة، المشهد في الظرفية السياسية الراهنة.

حول استراتيجية مشتركة؛ العزل العالمي التام للنظام عبر اللجوء للعقوبات الدولية. في هذا الصدد، اتخذت ترامب إجراءات بمعاينة الشركة النفطية الحكومية PDVSA وتجميد أصولها وحساباتها. كما أن شركة¹ Citgo Petroleum Corporation ، ستمنح للمعارضة. ناهيك عن تحويل أموال في ذمة أمريكا إلى حكومة غوايدو المزعومة عوض الحكومة الفنزويلية الشرعية. الهدف من ذلك، استكمال الإنهيار الاقتصادي للنظام القائم، دون مراعاة تأثير تلك الأفعال على مجتمع فنزويلي يعاني من نقص المواد الغذائية والأدوية².

فيما يتصل بالصراع حول الشرعية، ترى المعارضة أن الانتخابات الرئاسية، التي جرت في 20 ماي 2018 وفاز بها مادورو للمرة الثانية لولاية 2019-2025 بنسبة 67,84% من الأصوات المعبر عنها، قد شابها عدة خروقات. ناهيك عن انخفاض نسبة المشاركة في تلك الانتخابات إلى حدود 46%، بينما كانت قد بلغت 74,7% سنة 2006، و80,5% سنة 2012، و79,6% سنة 2013. وفي مقابل ذلك، لا يقوم التنصيب الذاتي لغوايدو على أسس قانونية وشرعية. فالفصل 233 من الدستور الفنزويلي الذي ينظم حالة الشغور³ ، وُضع أخذاً بالاعتبار لإمكانية عدم قدرة الرئيس المنتخب تحمل مسؤولية تسيير البلاد، وهي وضعية بعيدة جداً عن الواقع الذي تعيشه فنزويلا حالياً⁴.

أضف إلى ذلك، أن الحركة المضادة للتشافيزية التي وضعت على رأس أهدافها محاربة الفساد، سقطت بعض أنصارها في فخ غير متوقع ستكون له تداعيات كبيرة على مصداقية المعارضة اليمينية. فقد ظهرت مؤخراً معلومات تفيد بوجود شبهات فساد تورط فيها برلمانيون مقربون من غوايدو. الأمر الذي يضعف أكثر فأكثر استراتيجية زعيم المعارضة لإزاحة مادورو. ففي تحقيق نُشر في فاتح دجنبر 2019 يؤكد أحد مواقع التحقيقات الاستقصائية الفنزويلي Armando.info⁵ أن تسعة برلمانيين من المعارضة، مساندين لغوايدو، قد تدخلوا لفائدة مقال كولومبي يدعى

1. يتعلق الأمر بمقاومة فنزويلية تشغل في الولايات المتحدة الأمريكية وتمتلك آلاف المنشآت والمصنعات ومحطات الوقود.

2. Decio Machado, Analyse de la situation au Venezuela au-delà des lieux communs, N°659-660 janvier-février 2019, consulté le 29/11/2019, inprecor.fr.

3. ينص هذا الفصل على أنه إذا تعذر على الرئيس المنتخب أداء القسم لبدء ولايته، فإن الرئاسة تُسند لرئيس المجلس الوطني إلى حين تعيين رئيس جديد.

4. Machado, ibid.

5. Roberto Deniz, ¿Necesita lavar su reputación?, Se alquilan diputados para tal fin, 01/12/2019. consulté le 02/01/2020, Armando.info.

كارلوس ليسكانو Carlos Lizcano. وهذا الأخير معروف عنه ارتباطه ببرامج اللجنة المحلية للتموين والاتاج الذي وضعته حكومة مادورو لتزويد المحتاجين بالمواد الغذائية بأسعار جد منخفضة. وقد يكون هذا المقاول، بحسب نفس المصدر، يشغل لفائدة مقاولين كولومبيين آخرين، هما ألكس صعب Alex Saab والبارو بوليدو Alvaro Pulido، المستهدفان بعقوبات أمريكية بسبب الزيادة غير القانونية في أسعار فواتير استيراد مواد غذائية موجهة لتلك اللجنة. لهذا، يهتمهما القضاء الأمريكي بغسيل الأموال المتأتية من اللجنة¹.

ووفقا لما جاء في التحقيق، فإن البرلمانين المتهمين قد يكونوا اتصلوا مع السلطات الكولومبية والأمريكية لتطلب منها أن تكون متساهلة مع Carlos Lizcano، مؤكداً أن هذا الأخير لا علاقة له بالقضايا غير الشرعية لألكس صعب والبارو بوليدو². وكرد فعل على ذلك، جاء في تدوينة لغوايدو على تويتر: "لن أقبل أن يقوض الفساد كل ما ضحينا به. وأضاف قائلاً في معرض إعلانه عن لجنة برلمانية لتقصي الحقائق أثناء ندوة صحافية عقدها: "لا يمكن التسامح مع الفساد".

شبهات الفساد التي كشف عنها الموقع المشار إليه أنفا، ليست الوحيدة في محيط غوايدو. لقد سبق لهذا الأخير أن أعفى أومبرتو كالدرون بيرتي Humberto Calde-ron Berti ممثله الدبلوماسي في كولومبيا، البلد الذي يعترف بغوايدو كرئيس مؤقت. في غضون ذلك، اتهم كالدرون بيرتي مبعوثين لغوايدو باستعمال غير شرعي لأموال مرصودة لمساعدة 148 جندي فنزويلي سبق لهم أن فروا نحو كولومبيا في فبراير 2019. "لقد أخبرتني السلطات الكولومبية وأطلعني على وثائق تتعلق [...] بتعسفات شتى"، يقول كالدرون بيرتي في تصريح للصحافة بدون أن يتهم إسمياً أي شخص³.

وفي سعيها للدؤوب لترميم وتتميق صورتها التي شوهتها شبهات الفساد، قام حزبان رئيسان في المعارضة بإبعاد خمسة نواب، ممن وردت أسماءهم في مقالة الموقع الاستقصائي، من اللجان التي تنتمي إليهما⁴. ولكن شبهات الفضيحة هذه، لا تني تسيء لسمعة غوايدو، الذي يعتبر محاربة فساد النظام أحد أهم رهاناته.

1. Venezuela : des proches de Juan Guaido soupçonnés de corruption, 02 décembre 2019, consulté le 28/12/2019, lemonde.fr/.

2. Roberto Deniz, op. cit.

3. Venezuela : des proches de Juan Guaido soupçonnés de corruption, op. cit.

4. يتعاق الأمر بحزب "العدالة أولا" (Primer Justicia) وحزب "الإرادة الشعبية" (Voluntad Popular)، وهو الحزب الذي ينتمي إليه غوايدو.

أسباب الأزمة السياسية الراهنة

تجتاز الأزمة السياسية الفنزويلية، التي ما فتئت لتعمق منذ أن أصبح مادورو رئيسا للبلاد عام 2013، مرحلة جديدة مع التنصيب الذاتي لرئيس الجمعية الوطنية غوايدو رئيسًا مؤقتًا للبلاد في 23 يناير 2019. فكيف يمكن تفسير هذه الأزمة التي تشتد في سياق إقليمي تحتاحه موجة من التحول السياسي إلى اليمين في العديد من بلدان أمريكا اللاتينية؟ وما هو تأثير التدخلات الأمريكية في الشؤون الداخلية لفنزويلا؟ وإلى أي حد ترتبط الأزمة بالتنافس بين القوى العظمى خاصة الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا؟

إن ما أبرزته الورقة من مظاهر الصراع السياسي والاجتماعي المحتد بين الحركة التشافيزية والحركة المضادة لها، نجد له امتدادات على مستوى تأطير هذا الصراع وتفسيره. فإذا كان زعماء الحركة التشافيزية، سواء في عهد تشافيز أو في عهد مادورو، يرون أن الأزمة السياسية الفنزويلية ترجع أساسا إلى عوامل خارجية، فإن قادة الحركة المضادة للتشافيزية يذهبون على العكس من ذلك، إلى أن أسباب الأزمة داخلية وترتبط بالنظام القائم.

بالنسبة للتشافيزية، تتمثل عوامل الأزمة في فرض الولايات المتحدة الأمريكية لعقوبات اقتصادية على البلد، وسعيها نحو الانقلاب على تشافيز ثم مادورو بالتعاون مع معارضة متهمة بالعمالة والتآمر مع الخارج. ناهيك عن شن أمريكا لحرب اقتصادية على البلاد عبر التلاعب بأسعار النفط في الأسواق العالمية رغبة في تآزيم الوضع السياسي أكثر.

أما المعارضة، فتفسر الأزمة بعوامل سياسية واقتصادية داخلية، وتحمل حكومة مادورو مسؤولية تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية. هذا فضلا عن اتهامها لها بسوء تدبير الأزمة الاقتصادية، خاصة مع الاعتماد بشكل شبه حصري على قطاع النفط كمصدر للدخل القومي. أما تطوير القطاعات الاقتصادية الأخرى فأمر مهمَل، مما نجم عنه تبعية شبه كلية تجاه الخارج بخصوص حاجيات

البلد الأساسية. كما تتهم المعارضة اليمينية النظام القائم بتبديد المكاسب الاقتصادية المحققة إبان الطفرة النفطية في برامج اجتماعية بُغية شراء الولاء السياسي¹.

هذا المنظور للأزمة، تدعمه مجموعة من الدول تتقدمها الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها في أمريكا الجنوبية والوسطى؛ إضافة إلى كندا، وإسرائيل، وأستراليا؛ وبعض الدول الأوروبية كبريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، والبرتغال، وإسبانيا. هذه الدول، التي ترى أن غوايدو هو الرئيس الشرعي لفنزويلا، تُرجع الأزمة إلى النزعة التسلطية للرئيس مادورو. وتعتقد أنه قام باغتصاب السلطة لما فاز في انتخابات ماي 2018، المشوبة بعدد الخروقات بحسبها.

لم تكن الأزمة السياسية الحالية هي الأولى من نوعها، إذ شهدت البلاد عدة احتجاجات عقب تقلد مادورو للسلطة بعد وفاة شافيز عام 2013. كما أن حدثها تصاعدت بعد الانتخابات التشريعية التي جرت في 6 ديسمبر 2015، وأسفرت عن تصدر المعارضة ممثلة في ائتلاف طاولة الوحدة الديمقراطية ب 112 مقعدا من أصل 167 في الجمعية الوطنية، بينما لم يحرز الحزب الاشتراكي الموحد لفنزويلا الحاكم إلا على 55 مقعدا فقط. لذلك، انخرطت المعارضة منذئذ في مسلسل تقويض شرعية النظام الحاكم، بتنظيم المظاهرات، وإطلاق عريضة للمطالبة بإجراء استفتاء على إقالة مادورو من منصبه. بيد أن جميع هذه المحاولات كان مصيرها الفشل².

مع أهمية العوامل الداخلية في تفسير الأزمة، لا يمكن التعمق في فهمها بمنأى عن التطورات السياسية التي تشهدها أمريكا اللاتينية في السنوات الأخيرة، والتي نجم عنها وصول العديد من الأحزاب اليمينية إلى الحكم. نضرب مثلا على وجه الخصوص ببلدين جارين لفنزويلا، كولومبيا مع إيفان دوكي Iván Duque عام 2018 والتي انخرطت في موجة من الاحتجاجات منذ نونبر 2019؛ والبرازيل مع اليميني المتطرف جاير بولسونارو Jair Bolsonaro سنة 2018³.

1. صدفة محمد محمود، كيف يمكن قراءة الأزمة السياسية الراهنة في فنزويلا؟ المعارضة تختفي انقساماتها الداخلية وتوحد صفوفها خلف جوايدو، المجلة، 2 فبراير 2019، شوهد في 30/11/2019، متوفر على الموقع <https://arb.majalla.com>

2. نفس المرجع.

3. محمد نعيم، مرجع سابق، ص 51-52.

كان لهذه التحولات السياسية، خاصة في هذين البلدين الأخيرين، تداعيات سلبية على الأزمة الفنزويلية. فمن جهة، أعطت هذه التحولات زخماً إضافياً للحركة اليمينية المضادة للشفافية، ومنحها دعماً إقليمياً قوياً تعهد به. ومن جهة أخرى، ساهمت في تشجيع الولايات المتحدة على زيادة ضغوطها للإسراع بإسقاط النظام. فبعد إخفاق العديد من محاولاتها للإطاحة بالرئيس الراحل شافيز، وبعد الضغوط الاقتصادية والسياسية غير المجدية ضد الرئيس الحالي، وجدت أمريكا في وصول اليمين إلى السلطة في الكثير من دول المنطقة فرصة مواتية لحشد الدعم الإقليمي اللازم لتحقيق مخططاتها. في هذا السياق، يندرج تهافت الحكومات اليمينية في كل من البرازيل والأرجنتين قبل الانتخابات الرئاسية الأخيرة التي أعادت يسار الوسط إلى السلطة، وتشيلي، وكولومبيا، وكوستاريكا، وغواتيمالا، والهندوراس، والباراغواي، والبيرو، على الاعتراف بغوايدو رئيساً مؤقتاً لفنزويلا¹.

في مقابل ذلك، سعت روسيا إلى تعزيز نفوذها في أمريكا اللاتينية، مع الاهتمام بشكل خاص بتطوير علاقاتها مع دول تحالف البديل البوليفاري لشعوب الأمريكتين (فنزويلا، كوبا، بوليفيا، الإكوادور، ونيكاراغوا)، نظراً لتوجهاتها المعادية للولايات المتحدة. في هذا الصدد، استخدمت روسيا قوتها الدبلوماسية لمساندة مادورو، خاصة وأن استثماراتها في فنزويلا تُقدّر بنحو عشرين مليار دولار معظمها قروض لتطوير قطاع النفط. كما أن الصين، بالنظر لعلاقاتها المتينة مع فنزويلا متمثلة في قروض صينية بقيمة 62 مليار دولار في مقابل النفط خلال العقد الماضي، تدافع عن الرئيس مادورو وترفض التدخل الأمريكي في الشؤون الداخلية لفنزويلا². في هذا الإطار، عرقلت روسيا، والصين، وجنوب أفريقيا، وغينيا الاستوائية، مسعى واشنطن لاستصدار بيان في مجلس الأمن الدولي يعبر عن تأييد كامل للجمعية الوطنية الفنزويلية، باعتبارها المؤسسة الوحيدة المنتخبة ديمقراطياً في البلاد³.

1. صدفة محمد محمود، مرجع سابق.

2. نفس المرجع.

3. مشروعاً قرارين متعارضين أمام مجلس الأمن بخصوص فنزويلا، الجزيرة نت، 10/02/2019، شوهد في: 28/11/2019، متوفر على الموقع

<https://www.aljazeera.net>

على ضوء ما سبق، يمكن القول إن الأزمة الفنزويلية هي في عمقها صراع سياسي واجتماعي داخلي بين الحركة التشافيزية والحركة المضادة لها على الشرعية والسلطة السياسية. لكنه صراع يجري تأجيجه على المستوى الخارجي من جراء التنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية كطرف، وروسيا والصين كطرف مقابل. ارتباطا بذلك، يرى فرانسوا هوتار¹ François Houtart أن الأزمة تتعلق في نهاية المطاف، أولا وعلى وجه الخصوص، بمسألة مواجهة طبقية. هذا ما تبينه بوضوح مظاهرات المعارضة من خلال نمط الأحياء التي تُنظَّم فيها والجمهور المشارك فيها. كما أن قسما من الطبقة الوسطى الحضرية، التي تضررت قدرتها الشرائية من جراء انخفاض الريع النفطي، تلعب دورا كبيرا في دعم الطبقات الميسورة جدا والتي تريد استرداد السلطة السياسية. وتلتئم هذه الأخيرة مع جماعات عنيفة، أغلب ضحاياها من أنصار التشافيزية. لكن، يوجد أيضا استياء كبير في أوساط الطبقات الدنيا المنتمة لقاعدة المسار البوليفاري من جراء تدهور المهمات الاجتماعية كالصحة والتعليم ودعم المواد الغذائية وغيرها بسبب نقص التمويل وتفشي الفساد في هذه القطاعات².

على عكس ما يذهب إليه هوتار، يرى ديسيو ماتشادو³ Decio Machado ، أن الأزمة السياسية الفنزويلية الراهنة ليست صراعا إيديولوجيا أو طبقيا. فالحكومة الحالية في فنزويلا حادت عن الطريق التي رسمتها الحركة التشافيزية أثناء مرحلة شرعيتها السياسية والاجتماعية الكبيرة، فأن يكون المرء تشافيزيا في الوقت الراهن، لا يعني بالضرورة مساندة نظام مادورو².

خاتمة

في سياق الصراع بين الحركة التشافيزية والحركة المضادة لها، يمكن للوضع القائم

1. فرانسوا هوتار (1925 في بروكسيل - 2017 في كيبيلو بالأكوادور) هو قس على صلة وثيقة بحركة لاهوت التحرير، حيث شارك في تجمع الفاتيكان الثاني في ستينيات القرن العشرين تكبير مختص في أمريكا اللاتينية. وهو عالم اجتماع ماركسي ومؤسس لمركز القارات الثلاث ومجلة بدائل الجنوب وعضو بلجنة رعاية محكمة راسل حول فلسطين وغيرها. ألف أكثر من سبعين مؤلفا.

2. François Houtart, Le Venezuela d'aujourd'hui et de demain, N° 639-640 mai-juin 2017, consulté le 29/11/2019, inprecor.fr.

3. هو صحفي أرجنتيني، ومنسق "مجموعة دراسات الجغرافيا السياسية التقليدية بأمريكا اللاتينية" « Grupo de Estudios de Geopolítica Crítica en América Latina ».

4. Decio Machado, op. cit.

أن يبقى على ما هو عليه، لا سيما في ظل استمرار وفاء وإخلاص الجيش للنظام القائم رغم عديد المحاولات لتوريط قادته في مؤامرات انقلابية. هذا السيناريو تدعمه على الصعيد الدولي مجموعة من البلدان على رأسها روسيا والصين؛ وبعض حلفاء فنزويلا في المنطقة، خاصة المكسيك، وكوبا، ونيكاراغوا، وبوليفيا؛ إضافة إلى تركيا، وإيران، وسوريا. ترى هذه الدول، التي تساند مادورو باعتباره الرئيس الشرعي للبلاد، أن الأزمة الراهنة هي نتاج للتدخلات الأمريكية المتكررة في الشؤون الداخلية لفنزويلا.

ما يزيكي هذا السيناريو حالياً، إضافة إلى ما ذُكر، تمكن مادورو من شق صفوف معسكر غوايدو بمناسبة انتخاب رئيس جديد للجمعية الوطنية في 05 يناير 2020. إن هذا الأخير، الذي فشل في إزاحة مادورو من الحكم، أصبح يدرك أنه موضع احتجاج حتى ضمن معسكره. لذلك نجد من جهة المؤيدين له، ومن جهة أخرى المناصرين لمنافسه لويس إدواردو بارا Luis Eduardo Parra الذي انشق عن المعارضة. والنتيجة، انتخاب رئيسين جديدين للبرلمان: بارا الذي انتخب بمقر الجمعية الوطنية بعد منع نواب المعارضة بمن فيهم غوايدو من ولوجه من طرف قوات الأمن، وغوايدو الذي انتخبه مؤيدوه بمقر جريدة El Nacional بمدينة كاراكاس¹.

علاوة على ذلك، سيستفيد النظام التشايفيزي كثيراً من انشغال ترامب حالياً بتدبير الورطة الخطيرة التي يوجد فيها بعد إقدامه في 03 يناير 2020 على اغتيال قائد فيلق القدس الإيراني قاسم سليماني ومرافقه أبو مهدي المهندس نائب رئيس الحشد الشعبي العراقي. هذا فضلاً عن المشاكل الداخلية التي يتخبط فيها، خاصة تلك المتعلقة بإجراءات العزل التي يباشرها الكونغرس الأمريكي بحقه².

هكذا، يمكن القول إن كثيراً من المياه تصب حالياً في طاحونة النظام والحركة التشايفيزية سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي. فعلى المستوى الأول،

1. Au Venezuela, Nicolas Maduro divise le camp de Juan Guaido, 06/01/2020, consulté le 07/01/2020, lemonde.fr.

2. من المعلوم أن هذه القضية تفتّرت بعد الكشف عن مضمون مكالمة هاتفية أجراها الرئيس ترامب مع نظيره الأوكراني زيلينسكي في الصيف الماضي. لقد بين محتوى الاتصال أن ترامب طلب من زيلينسكي التحقيق بشأن خصمه السياسي جو بايدن وأعمال ابنه هانتر بايدن في أوكرانيا. وبسبب ذلك، اتهم الديمقراطيون ترامب باستغلال سلطته لأهداف شخصية، لأن بايدن هو المرشح الأوفر حظاً لمنافسته في الانتخابات الرئاسية في 2020.

دخلت تعبئة الحركة المضادة للتشافيزية دورة الاستنزاف والإنهاك. فهي لم تعد تحشد إلا أعدادا تتناقص مع توالي الأيام، علماً أن المظاهرات المضادة لمادورو هي بمثابة إحدى الأذرع التي كان يعوّل عليها غوايدو كثيرا للضغط على السلطة. بصدد هذا التراجع، نضرب مثلا دعوة هذا الأخير للتظاهر في 16 نوفمبر 2019، حيث لم تستنفر سوى بضعة آلاف من الأشخاص في كاراكاس، على خلاف مظاهرات مطلع 2019 التي كانت تستقطب عشرات الآلاف من الفنزويليين. إن تراجع القدرة التحشيدية لدى أنصار الحركة المضادة للتشافيزية صارت تُعزّزه، أكثر فأكثر، شبّهات الفساد التي ما فتئت تُلاحق نواب برلمانيين محسوبين على غوايدو. وهي شبّهات، لا شك في أنها تضرب استراتيجيته ومصداقيته في مقتل من جديد. أما على المستوى الإقليمي والدولي، فإن كل العقوبات الاقتصادية التي اتخذها ترامب ضد فنزويلا لم تعزعزع أركان النظام، بقدر ما عمقت الأزمة الإنسانية للشرائح الاجتماعية العريضة. كما أن برامج المساعدات الإنسانية المملوغة لم تفلح في اختراق سيادة البلاد. أضف إلى ذلك أن عودة يسار الوسط إلى الحكم في الأرجنتين في أكتوبر 2019، جعلت الرئيس الجديد يسحب اعترافه بغوايدو ويقف موقف الحياد من الصراع. وأخيرا، هناك الانتفاضات الشعبية العارمة التي صارت تهز مكان عديد الدول المساندة لغوايدو في المنطقة ككولومبيا وشيلي والإكوادور.

صعود الكنيسة الإنجيلية بأمريكا اللاتينية وتداعياته المحتملة على العلاقات العربية اللاتينية

أحمد بنصالح الصالحى

باحث في الشؤون اللاتينية والعلاقات العربية اللاتينية
جمهورية الدومينيكان

لقد أضحت بالأعوام القليلة الأخيرة متلازمة الدين والسياسة أمراً واقعاً أخذ يتبلور من جديد في العديد من التجارب الدولية، منها أمريكا اللاتينية، حيث أخذت هذه المتلازمة تتعزز أكثر فأكثر في هذه المنطقة من العالم، وذلك بعدما أخذ يتعاظم فيها نفوذ الكنيسة الإنجيلية و تزايد فيها نشأة الأحزاب الدينية وتهمين فيها التعبيرات الدينية على الخطابات السياسية ويترشح فيها القساوسة لخوض الانتخابات النيابية و الرئاسية، وذلك بعدما أخذت تشهد هذه المنطقة تحولات عديدة في علاقتها بالديانة المسيحية.

وعملياً، أخذت أمريكا اللاتينية تشهد تحولات دينية عدة، أبرزها انتشار الكنيسة الإنجيلية على حساب الكاثوليكية، حيث أخذت هذه الأخيرة تتوسع بوتيرة مثيرة، حيث أن دولا في أمريكا الوسطى أخذ يقارب عدد أتباع الكنيسة الإنجيلية فيها أتباع الكنيسة الكاثوليكية. ففي الهندوراس تقارب نسبة الإنجيليين 41% بينما تقارب نسبة الكاثوليك 47% و في غواتيمالا تقارب نسبة الإنجيليين 40% بينما تقارب نسبة الكاثوليك 47% وفي نيكاراغوا تقدر نسبة الإنجيليين بنسبة 37% بينما نسبة الكاثوليك تقارب 47%¹.

انتشار الكنيسة الإنجيلية يلاحظ كذلك في أمريكا الجنوبية. ففي البرازيل حيث أكثر نسبة من الكاثوليك في العالم، فقد تراجع فيها أتباع الكاثوليكية بمقدار 15 نقطة، بينما ارتفع أعداد أتباع الكنيسة الإنجيلية بمقدار 15 نقطة، وذلك خلال الفترة 2013-1995. وباستثناء الباراغواي والإكوادور، اللتان

1. Lagos Marta, Las Religiones en tiempos del Papa Francisco, Informe Latinobarómetro, 2014, Chile.

تتجاوز نسبة انتشار الديانة الكاثوليكية فيهما 80% فإن نسبة غير المتدينين في ارتفاع في القارة، بينما في الأوروغواي فتقترب نسبة غير المتدينين 38% مقابل 13% إنجيليين و 41% كاثوليك.

وتهدف هذه المساهمة الوصفية والتشخيصية إلى دراسة حاضر الكنيسة الإنجيلية في أمريكا اللاتينية ومحاولة استشراف مستقبلها، حيث ستقدم رسدا شاملا و مفصلا، لتطور هذه الكنيسة ذات الأطماع السياسية وإبراز مؤشرات تحولها إلى قوة بديلة للحكومات التقليدية. فضلا عن بيان وزنها في الاستحقاقات اللاتينية وقدرتها على استقطاب الأصوات الانتخابية وحصد المقاعد النيابية، وذلك استباقا لتحولات مفترضة، مرتقبة في العلاقات العربية اللاتينية، قد تكون على الأرجح في غير صالح هذه العلاقات، وفقا للتوقعات الأكثر تفاؤلا، وذلك بسبب إمكانية نهج الكنيسة لسياسة خارجية يمينية ومحافظه للغاية وإقامة علاقات دولية أكثر انفتاحا مع الجوار وأكثر انغلاقا مع الخارج والآخر.

المبحث الأول: تأثير الكنيسة الإنجيلية في السياسة الخارجية لدول أمريكا اللاتينية

أولا: القوة الانتخابية المتصاعدة للكنيسة الإنجيلية في أمريكا اللاتينية

انتشار الكنيسة الإنجيلية بوتيرة مثيرة على حساب الكاثوليكية بأمريكا اللاتينية، أخذ يدفعها إلى لعب أدوار محورية بالانتخابات الرئاسية، حيث أسهمت عام 2018 في ترجيح كفة الرئيس الفائز بهذه الأخيرة. فبدعم أنصارها فاز لوبيز أوبرادور برئاسة المكسيك، بتحالف حزبه "حركة التجديد القومية" مع "حزب التجمع الاجتماعي"، الذراع السياسية للكنيسة الإنجيلية، وبدعم أتباعها فاز جاير بولسونارو برئاسة البرازيل¹ لتبنيه طروحاتها العقائدية المحافظة و بدعم مرديها كذلك فاز سيباستيان بينيرا برئاسة الشيلي.

1. Gómez Pastor, María Luisa, El evangelismo en América Latina, un poder creciente. El caso de Brasil, Instituto Español de Estudios Estratégicos, p.3. n°42, Perú, Noviembre, 2018.

أما من حيث المشاركة في الانتخابات الرئاسية لعام 2018 فقد ترشح فيها عدد من الإنجليين وحققوا فيها نتائج مشرفة. فمنهم من فاز بدورتها الأولى ومنهم من بلغ دورتها الثانية ومنهم من خلق المفاجئة. ففي انتخابات كوستاريكا فاز في دورتها الأولى فابريسيو ألفارادو ذو النزعة الإنجيلية وكان على وشك أن يفوز بدورتها الثانية، وفي فنزويلا فقد قام بالمنافسة بقوة في انتخاباتها خافيير بيرتوتشي، أحد أكبر قساوسة الكنيسة الإنجيلية، وفي كولومبيا فقد ترشح فيها خورخي تروخييو، أحد كبار المبشرين الإنجليين¹.

و بشأن القوة العددية للكنيسة الإنجيلية في البرلمانات اللاتينية، فإنها تشهد نموا مضطربا، ويتضح ذلك في العديد من الحالات، أبرزها الحالة البرازيلية، حيث بدراستنا للاستحقاقات النيابية الفدرالية البرازيلية لعام 2014، فسنجد بأن الإنجليين حصلوا على نتائج إيجابية في تاريخ مشاركتهم الانتخابية، حيث أصبح لديهم 67 نائبا في البرلمان (الغرفة الأولى) المشكلة من 513 مقعدا و3 أعضاء في مجلس الشيوخ (الغرفة الثانية) المشكلة من 81 مقعدا، محرزا تقدما ملحوظا قياسا بانتخابات عام 2010 النيابية².

أما في المكسيك، فقد حصد "حزب التجمع الاجتماعي"، الذراع السياسية للكنيسة الإنجيلية، بأخر انتخابات نيابية شهدتها البلاد شهر يوليو عام 2018، ما مجموعه 30 نائبا في الغرفة الأولى من ضمن 500 نائب وخمسة أعضاء في الغرفة الثانية³ من ضمن 128 عضوا، مسجلا بذلك تقدما مضطربا مقارنة بأخر انتخابات نيابية شهدتها البلاد عام 2015، عندما حصد فقط 8 مقاعد في الغرفة الأولى ومقعد واحد في الغرفة الثانية، وذلك بحسب المعهد الوطني للانتخابات في المكسيك.

1. Malamud Carlos, La expansión política de las iglesias evangélicas en América Latina, Real Instituto Elcano, nº 127,

2. Pérez Guadalupe José Luis. Evangélicos y Poder en América Latina, Instituto de Estudios Social Cristianos, 2018, p86. noviembre, 2018, p 4.

3. Delgado-Molina Cecilia, La «irrupción evangélica» en México Entre las iglesias y la política. la revista Nueva Sociedad, nº 280, Marzo-Abril, 2019, p97.

توزيع أتباع الكنيستين الكاثوليكية والإنجيلية في أمريكا اللاتينية		
الدولة	نسبة أتباع الكنيسة الكاثوليكية	نسبة أتباع الكنيسة الإنجيلية
نيكاراغوا	47%	37%
الهندوراس	47%	41%
كوستاريكا	62%	21%
بنما	72%	19%
البرازيل	63%	21%

المصدر: Chile. , Latinobarómetro, Las religiones en tiempos del Papa Francisco, 2014

ثانيا: الخلفيات الدينية للكنيسة وتأثيراتها على علاقاتها الدولية

القوة الانتخابية المتصاعدة للكنيسة الإنجيلية في أمريكا اللاتينية، أخذت تثير مخاوف بشأن تصورها لمسألة إدارة شؤون الدولة وبلورة سياستها الخارجية وتنفيذ آلياتها الدبلوماسية وتصريف مواقفها الخارجية وإدارة علاقاتها الدولية، حيث يبدو، وفقا للرجعية المحافظة للكنيسة الإنجيلية وطبيعتها التقليدية، بأنه من المتوقع أن تنتهج على الأرجح، بناء على مرجعيتها الدينية، المتعصبية والمتشددة، سياسة خارجية يمينية صرفة، مبنية على إعطاء الأولوية للأيدولوجيا أكثر من إعطاء الأسبقية للمصالح. أما المثير فعلا في العقيدة الفكرية للكنيسة الإنجيلية اللاتينية من منظور العلاقات الدولية فهو إيلائها الاهتمام أكثر بالعلاقات اللاتينية-اللاتينية على حساب العلاقات اللاتينية الدولية، فضلا عن دعوتها إلى قيام الدولة القومية وتعصبها للهوية المسيحية للقارة اللاتينية وتأثرها بالكنيسة الإنجيلية الأمريكية المؤيدة لرئيسها دونالد ترامب والمناصرة لسياسته الخارجية وهيمنة الطائفة الأصولية (المتعصبية والمتشددة) عليها وتأييدها للقراءات المحافظة والداعية إلى ضرورة تنفيذ التعاليم الدينية والوصايا الإنجيلية.

وبالنسبة لعلاقات الكنيسة الإنجيلية اللاتينية بالطروحات الإسرائيلية، فالمثير فيها هو مباركتها لقيام "الدولة العبرية" وتأييدها لتعزيز العلاقات اللاتينية-الإسرائيلية ومعارضتها لنشأة الدولة الفلسطينية المستقلة. فضلا عن تبنيها الدعاية الصهيونية وإيمانها بطروحات و أفكار تيار المسيحية الصهيونية، المؤمنة بضرورة عودة "شعب الله المختار إلى أرضه الموعودة" في إشارة إلى فلسطين، وإقامة كان يهودي فيها يمهّد للعودة الثانية للمسيح وتأسيسه لمملكة الألف عام وإيمانها بأن اللغة العبرية تعد "كلام الله".

و بشأن الأهداف السياسية البعيدة الأمد لهذه الكنيسة، فإن أبرزها الفوز بالانتخابات المقبلة وقيادة حكومات تحكم بمرجعية دينية و الاستقرار في السلطة لمدة طويلة، وذلك لخدمة أجندتها المتعلقة بإصلاح الدولة والمجتمع، وفقا للتعاليم الإنجيلية وانسجاما مع ثقافتها المحافظة وتماشيا مع هويتها التقليدية وخصوصيتها اليمينية، إلا أن المرتقب بحسب العديد من المؤشرات، بشأن تصورهما للعلاقات الدولية، نهج سياسة خارجية غير منفتحة على الآخر المختلف، وذلك بإيلاء الاهتمام بتعزيز العلاقات الإقليمية.

و بتسلم الكنيسة الإنجيلية، ناصية القرار مستقبلا، فإنها ستضع نصب أعينها خدمة العديد من الأهداف القومية اللاتينية- اللاتينية، ومن أبرز هذه الأهداف وفقا لسلم أولوياتها وعقيدتها الفكرية، تعزيز العلاقات اللاتينية- اللاتينية وتقوية اندماجاتها الإقليمية والحفاظ على هوية القارة المسيحية و التصدي لحملات "أسلمة" القارة اللاتينية ومزيد من تعزيز العلاقات مع أرض الميعاد في إشارة إلى "إسرائيل" وتقوية الروابط الروحية مع "شعب الله المختار" في إشارة إلى اليهود، وذلك وفقا للأدبيات الإنجيلية اللاتينية.

ثالثا: دور الكنيسة في تطوير علاقات دول أمريكا اللاتينية مع إسرائيل الخلفيات الدينية للكنيسة الإنجيلية أخذت تؤثر على السياسة الخارجية اللاتينية، وعلى إثره قد تؤثر كذلك على الأرحح على علاقاتها الدولية، ومنها

العلاقات العربية اللاتينية، ومن أبرز تجليات هذا التأثير في السنوات الأخيرة، إقدام الهندوراس وغواتيمالا عام 2017 على نقل سفارتيهما إلى القدس إسوة بما قامت به الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك بعدما قامت بالتصويت لصالح قرار الولايات المتحدة الأمريكية اعتبار القدس "عاصمة إسرائيلية"، واضعة نفسها في إخراج بعدما لم يسير العالم دونالد ترامب في قراره.

وبالنسبة لغواتيمالا، فقد قامت حينئذ بالخطوة، بالنظر إلى العديد من الاعتبارات. أولها قيام رئيسها جيمي موراليس (ذو التوجهات الإنجيلية) سنة 2016 بزيارة دولة رسمية إلى إسرائيل لتعزيز العلاقات معها. ثانيا، اعتبار غواتيمالا أول دولة بأمريكا اللاتينية تعتمد تمثيلية دبلوماسية بمدينة القدس الشريف واحتفظت بها إلى غاية سنة 1980. ثالثا، اعتبار غواتيمالا أول دولة في منطقة أمريكا اللاتينية تقدم على إقامة علاقات دبلوماسية مع "إسرائيل" وذلك منذ عام 1948 سنة بعد نشأة هذا الكيان.

ومن جانب آخر، فإن دوافع القرار دينية صرفة، حيث جاء قرار غواتيمالا بنقل سفارتها إلى القدس الشريف، كمكافأة من رئيس الجمهورية جيمي موراليس للكنيسة الإنجيلية على دعم أتباعها له بالتصويت عليه والقيام بمحلات لصالحه. ثانيا، جاء تنفيذًا لتوصية اجتماع كبار أساقفة الكنيسة الإنجيلية اللاتينية لسنة 2016 مع بنيامين نتياهو، بدعم الكنيسة الإنجيلية لقيام "الدولة العبرية" وثالثا، عدم اقتناع رئيس غواتيمالا المتدين والمتعصب برواية دور اليهود في الوشاية وصلب السيد المسيح.

أما بشأن الهندوراس فقد كانت دوافعها مصلحة بحتة، أهمها انتزاع اعتراف الولايات المتحدة بفوز أورلاندو فيرنانديز برئاسة البلاد في انتخابات طعنت فيها المعارضة وأثارت جدلا بالأوساط الإعلامية الدولية وخلقت أزمة سياسية داخلية وشككت فيها الهيئات المراقبة ونادت منظمة الدول الأمريكية بإعادة إجراءاتها لكونها شابها العديد من التجاوزات وثانيا لتحفيز "إسرائيل" والولايات المتحدة مزيد من الدعم للحكومة لمحاربة الشبكات الإجرامية المناهضة للحكومة والحد من انتشار وتجارة الأسلحة في أوساط الشعب.

بالإضافة إلى أسباب تاريخية، أبرزها دعم إسرائيل تاريخياً للأنظمة الديكتاتورية العسكرية المتعاقبة في الهندوراس بالأسلحة، خاصة وأنه عندما أجبرت انتهاكات حقوق الإنسان في هذا البلد عام 1977 رئيس الولايات المتحدة الأمريكية جيمي كارتر (1977-1981) على وقف المساعدات العسكرية للهندوراس، قامت إسرائيل بسرعة بملاً هذا الفراغ وتزويد الهندوراس بالأسلحة والعتاد لقمع الانتفاضات الشعبية المناهضة للاستبداد وقمع السلطات الديكتاتورية المتهمه بالإبادة الجماعية والتصفية العرقية.

المبحث الثاني: سيناريوهات إدارة الكنيسة الإنجيلية للعلاقات العربية اللاتينية

أولاً: انعكاسات صعود الكنيسة الإنجيلية على العلاقات العربية اللاتينية

تأثيرات الكنيسة الإنجيلية على السياسة الخارجية اللاتينية وتداعيات ذلك على علاقاتها الدولية، أخذ يطرح أسئلة عدة، أبرزها الانعكاسات المحتملة على العلاقات العربية اللاتينية، حيث يُرتقب أن يؤثر صعود أتباع هذه الكنيسة إلى سدة الحكم على هذه العلاقات وتشهد على إثره مستقبلاً تدهوراً مُحتملاً، بسبب تعصب الكنيسة الإنجيلية للعلاقات اللاتينية-اللاتينية وتأيدها للطروحات الإسرائيلية ودعمها لقيام "الدولة العبرية" وعدم تحمسها للعلاقات العربية اللاتينية وقيام الدولة الفلسطينية.

ومن المرجح، إذا قامت الكنيسة الإنجيلية اللاتينية بتأييد الطروحات الإسرائيلية ودعم قيام الدولة العبرية على حساب الدولة الفلسطينية، أن تتأثر بنسب متفاوتة العلاقات العربية اللاتينية، وذلك بتراجع الاستثمارات العربية في أمريكا اللاتينية، تحديداً الاستثمارات الخليجية، للضغط على الحكومات اللاتينية، لمراجعة قراراتها ومواقفها من القضية الفلسطينية، للحفاظ على سياستها المتزنة من

الصراع وأخذ مسافة بين مختلف أطرافه، بالرغم من أن أمريكا اللاتينية ناصرت تاريخياً القضية الفلسطينية .

وبالإشارة إلى المقاطعة، كأحد "الأسلحة" المستخدمة في العلاقات الدولية، فجدير بالذكر بأنها وسيلة ذات فعالية، حيث كانت لغواتيمالا تجربة مع العرب ترتبت عنها تبعات سلبية عليها، انعكست على مصالحها وكلفتها الكثير. فقد اتخذت إبان حكم الرئيس الأسبق راميرو كاريو ما بين 1993 و 1996 قراراً بنقل سفارتها في تل أبيب إلى القدس وتراجعت عنه بعدما قاطعت الدول الإسلامية منتجاتها، وهو ما يفيد بأن المقاطعة تعد "سلاحاً" رادعاً قد يوقف نوايا حكومات اتخاذ قرارات أو تبني مواقف دون احتساب تكلفتها مسبقاً.

فمختلف الرؤى الاستراتيجية الخليجية [تُجمع] على ضرورة تطوير قدراتها الاستثمارية وإقامة شراكات تجارية طويلة الأمد، استعداداً لمرحلة ما بعد النفط. وتوسع دول الخليج من خلال الانفتاح على التجارة والأعمال إلى تحقيق النمو والمنافسة خلال السنوات المقبلة. ومن هذا المنطلق أصبحت منطقة أمريكا اللاتينية تمثل فضاء جيو اقتصادياً خصباً لخدمة المصالح الاستراتيجية الخليجية. ذلك أن تكاليفها الاقتصادية الإقليمية توفر فرصاً تجارية مهمة لتأمين الحاجيات الداخلية لدول الخليج وتنمية صادراتها، كما أن استقرار مناخ الأعمال في دولها يحفز على رفع الاستثمارات الخليجية في القطاعات المربحة¹.

ومن المرتقب كذلك أن تتأثر على الأرجح التبادلات الاقتصادية، بسبب مقاطعة عربية محتملة للصادرات اللاتينية، خاصة وأن التبادلات البنينة عادة ما تشهد عجزاً لصالح أمريكا اللاتينية، حيث استوردت عام 2018 دول الخليج 10.9 مليار دولار من أمريكا اللاتينية، بينما صدرت إليها فقط 5.4 مليار دولار².

1. منجد محسن، الأهمية الاستراتيجية للتعاون مع تكالات أمريكا اللاتينية: وجهة نظر خليجية، مجلة آراء حول الخليج العدد 110، غشت 2016.

2. Towards a Renewed and Strengthened Relationship, Fostering ties between Latin America and the Caribbean and the Gulf Countries, Inter-American Development Bank, March 2019.

ثانيا: حوار أو صراع حضارات أم ريبة أو تخوف من الإسلام

أما متلازمة الدين والسياسة في صيغتها اللاتينية فقد تعد عند البعض نسخة مطابقة لظاهرة الإسلام السياسي في المنطقة العربية، وبناء على هذا التشابه في الخلفيات العقائدية والمقاصد السياسية، قد يُنظر إلى تواجد حكومات ذات مرجعية اسلامية بالدول العربية وحكومات ذات مرجعية إنجيلية بأمريكا اللاتينية على أنه مؤشر ايجابي على إمكانية تطور العلاقات العربية اللاتينية على اعتبار أن هذه الحكومات كلها تستمد إدارتها للدولة من مرجعية عقائدية ذات مقاصد اصلاحية مجتمعية.

إلا أنه بالنسبة للواقع، فعلى الأرجح خلاف ذلك، طالما أن صدام الحضارات هو الآخذ في التبلور على حساب حوار الحضارات، خاصة بعدما دخلت بالسنوات الأخيرة، ممارسات خطيرة على خط العلاقات الدولية، منها ظواهر الإرهاب والتطرف والتعصب... وبناء عليه، فيُرتقب على الأرجح أن تطرأ تحولات مُقلقة على العلاقات العربية اللاتينية، قد تعيدها إلى نقطة الصفر، إذا لم يتم تبديد مخاوف الكنيسة الإنجيلية من الصورة النمطية المرسومة عن العرب والمستوحاة في غالبيتها من الدعاية الإعلامية المغرضة.

أما مخاوف الكنيسة الإنجيلية اللاتينية غير المعلنة فتعددة، غير أن أبرزها هو توجسها من الحملات الدعوية الاسلامية الرامية إلى أسلمة القارة اللاتينية وتضايقها من تصاعد بناء المساجد والمراكز الثقافية الإسلامية وإنشاء الهيئات الخيرية وبناء المساجد ونشر الإسلام بالأوساط المسيحية والهنود الأصليين وانتشار ترجمات القرآن بالإسبانية. فضلا عن انزعاجها من تمدد إيران وأذرعها الموازية بأمريكا اللاتينية، تحديدا حزب الله وامتعاضا من نشر التشيع بمعدلات مقلقة في صفوف المسيحيين اللاتينيين.

وطالما أن تخوفات الكنيسة الإنجيلية اللاتينية، المشار إليها سلفا، أخذت تثير حفيظتها، فالأرجح أنها قد تقوم بتوظيف الورقة الدينية وتقدم على نهج خطاب الأحزاب اليمينية المتطرفة، ومنها العداء للإسلام وكرهية اتباعه و متابعة

معتقيه اللاتينين على شاكلة محاكم التفتيش الإسبانية خلال فترة حكم الإسلام في الأندلس والدعوة إلى وقف بناء المساجد...فضلا عن توظيف ورقة معاداة السامية بالأوساط المسلمة بأمرىكا اللاتينية والترويج على أنهم ضد الديانة اليهودية، وذلك بالتحالف مع المسيحية الصهيونية.

ثالثا: دور المغرب في قيادة حوار بين العرب والإنجلييين في أمرىكا اللاتينية

إن هذا الواقع الجديد، المتنامي اليوم بأمرىكا اللاتينية، بصرف النظر عن خطورته من عدمه، يعد فرصة أمام المغرب لقيادة حوار مع هذه القوة السياسية الدينية الصاعدة في أمرىكا اللاتينية، لتلين مواقفها من القضايا العربية وتبديد توجساتها ودفعها إلى فهم أصح للإسلام، وذلك لعدة اعتبارات تأهله للعب هذا الدور وقيادة هذا الحوار بين الثقافات والحضارات، وذلك لعدة اعتبارات، ذاتية وموضوعية، بعضها مرتبط بالمغرب وبعضها مرتبط بأمرىكا اللاتينية وبعضها الآخر مرتبط بالكنيسة الإنجيلية نفسها.

وبالنسبة للاعتبارات المتعلقة بالمغرب، فأهمها مؤسساتية وتاريخية وثقافية، وأبرزها رئاسته للجنة القدس الشريف واعتباره وريثا للتراث الأندلسي المشترك بين الحضارة الإسلامية والمسيحية. فضلا عن كونه أرضا للتسامح بين للديانات الثلاث واحتفاظه بعلاقات طيبة وودية مع اليهود. بالإضافة إلى لعبه تاريخيا للعديد من الأدوار في استتباب الأمن في العالم وقيامه بعدة وساطات وإشرافه على عدة مبادرات للمصالحة واستضافته للعديد من مؤتمرات السلام في العديد من المناسبات وللعديد من القضايا الدولية.

وعليه فإن المغرب، بممارساته الدينية الوسطية وقراءاته العقائدية المعتدلة، يعد أحد البلدان العربية والإسلامية الأكثر قدرة وجاهزية لقيادة هذا الحوار. ومن الخيارات المتاحة أمامه، التفكير من الآن في جدولة تنظيم مؤتمر للتعارف والتفاهم بين الكنيسة الإنجيلية والإسلام، وذلك في إطار حوار الأديان وتحالف الحضارات، لتبديد مختلف المخاوف والشكوك.

وهذا كله لكسب ود هذه القوة السياسية الصاعدة بأمريكا اللاتينية وإرساء جسور تواصلية معها، وذلك استباقا لبلوغها السلطة وتمكنها من ناصية القرار وتفاديا لفرضية اتخاذها مواقف غير ودية من القضايا العربية، تحديدا القضية الفلسطينية، خاصة وأن عودة الدين إلى العلاقات الدولية بدأ يأخذ مسارا متناميا بالأعوام الأخيرة بعد تولي دونالد ترامب رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، ويبدو وكأن العالم يتجه في اتجاه صدام الحضارات بدلا من تحالف الحضارات كما تدعوا إلى ذلك الديانات السماوية الثلاث.

أما اليوم فانتشار هذه الكنيسة في تزايد مضطرد، بحسب العديد من التوقعات، أبرزها توقعات معهد "بيو"¹ للدراسات والبحوث المتصلة بالأديان وهو ما يشير إلى أن العقيدة الفكرية اليمينية والمحافظة لهذه القوة السياسية ذات العبء الدينية والأطماع السياسية قد يؤثر على العلاقات العربية اللاتينية.

رابعا: تحولات مستقبلية متوقعة وتطورات محتملة وأمام اقتراضية حوار الحضارات و احتمالية صراع حضارات، وبصرف النظر إن تحققت هذه النبوءة أو تلك، فإن معطيات الحاضر وتوقعات الغد، تشير إلى أن شعبية الكنيسة الإنجيلية اللاتينية في ارتفاع. فبعدها سيطر مريدوها على رئاسة البلديات في بدايات مشوارهم، تمكنوا بعدها من بسط نفوذهم كحكام للولايات، ثم تدرجوا فأصبحوا نواب في البرلمانات. بعدها طوروا مهاراتهم السياسية، تم تحولوا إلى وزراء في العديد من الحكومات، واليوم بقي لهم بلوغ المناصب العليا في اتخاذ القرار في الدولة.

إلا أن المثير فهو تأثير الكنيسة الإنجيلية في اختيارات الهيئة الناخبة، حيث أصبحت اليوم هذه الكنيسة الآخذة شعبيتها في التزايد، عاملا حاسما في معادلة الانتخابات اللاتينية، كونها تقوم بالحسم في العديد من النتائج بدعم مرشح على حساب الآخر، نظرا إلى قدراتها على الاستقطاب وقدرتها على ترجمة شعبيتها إلى أصوات انتخابية ومقاعد نيابية. فضلا عن قدرتها على

1. Global Christianity, A Report on the Size and Distribution of the World's Christian Population, 2011.

التعبئة والتأثير في قرارات واختيارات الهيئة الناخبة، أساسا المحافظة منها والمتردة في قرارها وغير المنتمية إلى أية جهة سياسية أو أيديولوجية¹. أما الأرجح من وجهة نظر السوسيولوجيا السياسية، أن الشعوب اللاتينية ستتجه مستقبلا للتصويت على القساوسة الإنجيليين، بالنظر إلى أنهم يعدون بالنسبة إليهم، خيارا بديلا للحكام والساسة التقليديين المطلخة أيديهم بقضايا فساد، وذلك نظرا لطهرانية سيرهم وعدم تأثر سجلاتهم بالفساد.

غير أن الأكيد، بالنسبة لنظرية التطور في العلوم السياسية، أنه بعد انتهاء دورة الحكومات اليسارية الاشتراكية بأمريكا اللاتينية خلال العشرين سنة الأخيرة، وبداية عهد الحكومات اليمينية منذ الثلاثة سنوات الأخيرة، فإنه بالأمد البعيد، خلال العشرين سنة المقبلة، فالمرجح أن تأخذ الحكومات الدينية المتعصبة زمام الأمور، والمؤشر على ذلك تمهيد الحكومات اليمينية المحافظة للطريق أمام هذه الكنيسة للحكم أمريكا اللاتينية، لتنفيذ أجندتها القومية والحفاظ على الهوية المسيحية اللاتينية.

وعلى إثره، يسود تخوف من أن تنحاز أمريكا اللاتينية مستقبلا لغير صالح القضية الفلسطينية. فبعدها حملت أمريكا اللاتينية لواء القضية الفلسطينية وقامت بتكسير عزلتها الدولية وقلب معادلة القضية دوليا، وقد تشهد على إثره العلاقات اللاتينية الإسرائيلية تطورا على حساب العلاقات اللاتينية العربية، بسبب صعود الكنيسة الإنجيلية للحكم بأمريكا اللاتينية على حساب الحكومات التقليدية، ويُرجح أن تهدم هذه الكنيسة ما حققته الحكومات المتعاقبة لصالح القضية الفلسطينية بأمريكا اللاتينية.

وبهذا الواقع، المستجد في عدد من المواقف الحكومية اللاتينية خلال الأعوام القليلة الأخيرة، تحديدا مواقف الهندوراس وغواتيمالا من نقل سفاراتها إلى القدس الشريف، بمجرد إعلان الولايات المتحدة الأمريكية نقل سفارتها إلى القدس عام 2017، أصبح الأمر يثير المخاوف، خاصة إذا استحضرننا بأن معادلة العلاقات العربية-اللاتينية قائمة على مواقف لاتينية إيجابية تجاه القضية الفلسطينية نظير

1. الصالحي أحمد بنصالح، انتخابات أمريكا اللاتينية لسنة 2018، التقرير السياسي لأمريكا اللاتينية للعام 2018، مكتبة قرطبة-وجدة، 2019.

استقطاب أمريكا اللاتينية للاستثمارات العربية، فإن هذه العلاقات قد تشهد مستقبلا تدهورا محتملا.

وعليه فالتأثير الكبير للدين في العلاقات الدولية، الآخذ في التبلور بأمريكا اللاتينية ابتداء عمليا مع الرئيس جيمي موراليس في غواتيمالا، وليد هذه الكنيسة المحافظة وصاحب قرار نقل سفارة بلاده للقدس الشريف، متسببا بذلك في تسميم علاقات بلاده مع الدول العربية. ونستحضر ذلك حينما خاطب رئيس غواتيمالا جيمي موراليس شعبه، بعد قرار نقله لسفارة بلاده إلى القدس بقوله "إذا لم نقم بنقل سفارتنا إلى القدس فإن الرب سيغضب منا وسيعاقبنا كما جاء في تعاليم الكتاب المقدس".

إنها معالم بداية مرحلة مفصلية فارقة في العلاقات الدولية اللاتينية وامتحان لقياس قوة العلاقات العربية-اللاتينية و تحد آخر يضاف لتحديات العلاقات الدولية العربية العديدة. فبعدما أخذت تشهد أمريكا اللاتينية تحولات متسارعة من حكومات يسارية داعمة للقضايا العربية باتجاه حكومات يمينية متضامنة مع قيام "الدولة العبرية"، يضاف اليوم مُستجد آخر يصب في غير صالح العرب والقضية الفلسطينية ويتجلى في صعود الكنيسة الإنجيلية الآخذ في التعاظم يوما بعد يوم بأمريكا اللاتينية.

أما بالنهاية، فالرابع الأكبر مستقبلا من صعود الكنيسة الإنجيلية في أمريكا اللاتينية، فهو إسرائيل و"الدولة العبرية" بينما الخاسر الأكبر، فهو القضية الفلسطينية و العرب، أما الضحية الأكبر فلن تكون سوى العلاقات العربية اللاتينية. أما المؤشرات اللاحقة على إمكانية تراجع غير مستبعد في العلاقات العربية اللاتينية، فالمرجح أن تظهر في الانتخابات الرئاسية اللاتينية المقبلة. حينها سيتم فعلا معرفة تأثير الكنيسة الإنجيلية بأمريكا اللاتينية على استمرارية جودة العلاقات العربية اللاتينية من عدمه.

وبالنسبة للعلاقات المستقبلية العربية اللاتينية، فإن صعود هذه القوة

السياسية، ذات الخلفية العقائدية والأطماع السياسية، فيرتقب أن تشهد تدهورا، استنادا إلى العديد من المؤشرات، المتعلقة أساسا بمحددات السياسة الخارجية للكنيسة الإنجيلية (الراديكالية) وتصورها للعلاقات الدولية. وبناء عليه، فإن تأثير العلاقات العربية-اللاتينية بات أمرا مفروغا منه، طالما أن مواقف الكنيسة الإنجيلية من الطروحات الإسرائيلية باتت مكشوفة ومواقفها من الدولة الفلسطينية باتت مفضوحة.

صعود وتراجع الأنظمة الشعبوية في أمريكا اللاتينية

عبد الناعيم سعيد

طالب باحث بجامعة الحسن الثاني
الدار البيضاء

يعتبر مصطلح الشعبوية، حسب قاموس الأكاديمية الملكية الإسبانية للغة أسلوبا لممارسة السياسة أو آلية لاستمالة الجماهير الشعبية¹. يتعلق الأمر بإيدولوجية سياسية يعتمد فيها القائد الشعبي على أسلوب ديماغوجي للتمكن من كسب ثقة شريحة كبيرة من المجتمع تنتمي في غالبيتها للطبقة المتوسطة والعامة، وذلك عن طريق تقويض مصداقية الأنظمة الأوليغارشية.

ويسعى القائد الشعبي إلى تنصيب نفسه ممثلا نموذجيا للطبقة المتوسطة في البلاد، باستعمال أسلوب براغماتي وشخصية كاريزمية تجعله يكسب نوعا من الشعبية والقداسة وسط المواطنين²، بطريقة تصبح بها شخصية الزعيم تجسيدا لرغبات المواطنين³. كما يعتمد القائد الشعبي في سياسته على وضع برنامج سياسي حول المشاريع التي تهتم بها الطبقة المتوسطة، ليكسب ودها وثقتها⁴، لتصبح الشعبوية خيطا مباشرا يربط بين القائد والجماهير⁵.

ومن مميزات الأسلوب الشعبي كذلك استغلال بعض الشخصيات التاريخية التي ترمز للقومية الوطنية، لكسب الشعبية داخل المجتمع، وهو ما قام به على سبيل المثال الرئيس الفنزويلي الراحل هوغو تشافيز، عندما أطلق على الثورة التي قادته للوصول إلى الحكم اسم الثورة البوليفارية، نسبة إلى الزعيم التاريخي سيمون بوليفار⁶.

1. قاموس الأكاديمية الملكية الإسبانية متوفر على الرابط التالي <https://dej.rae.es/lema/populismo>

2. Carlos de la Torre, El populismo latinoamericano: entre la democratización y el autoritarismo, Revista Nueva Sociedad, n° 247, Sep-Oct 2013, Caracas.

3. Elkin Andrés Heredia, Revista Filosofía UIS, Colombia, vol. 17, n° 1, enero-junio de 2018, p. 184.

4. Martín Ruiz Ocea, El populismo Clásico en América Latina a través de las figuras de Lázaro Cárdenas y Juan Domingo Perón, Universidad de Cantabria, 2017, p.17.

5. Andrés Malamud, politólogo argentino, del Instituto de Ciencias Sociales de la Universidad de Lisboa, entrevistado por Revista Espartaco, Julio 2018, espartacorevista.com.

6. هو الزعيم الفنزويلي الملقب بالبحر، بعد أن وقف أمام الاستعمار الإسباني في أمريكا اللاتينية. كان هو مؤسس كولومبيا العظمى وبوليفيا، كما كان من أبرز الشخصيات التي تمكنت من تحرير الإكوادور وبنما والبيرو وفنزويلا.

قبل وصولها إلى أمريكا اللاتينية أواسط القرن 20، انطلقت شرارات الأنظمة الشعبية من أوروبا وتحديدًا من روسيا أواسط القرن 19، عن طريق الحركات الثورية التي قادتها جماعات النارودنيكي¹، وأطاحت بالنظام الأوليغارشي المطلق للمملكة القيصرية الروسية سنة 1917، معلنة قيام الاتحاد السوفيتي الاشتراكي بعد أربع سنوات².

وتحولت الشعبية بعد ذلك إلى الولايات المتحدة الأمريكية أواخر القرن 19، عن طريق حزب الشعب الذي كان يدافع عن مصالح العمال الصغار المتضررين من الثورة الصناعية التي انبعثت من بريطانيا العظمى واجتاحت الاقتصاد الأمريكي ما بين 1820 و1870³.

المبحث الأول: الشعبية في أمريكا اللاتينية خلال القرن العشرين

أولاً: ظهور الشعبية في أمريكا اللاتينية

لقد سجلت عدة عوامل بظهور الشعبية الكلاسيكية في بلدان أمريكا اللاتينية، وكان من أبرزها الوضعية الاقتصادية المزرية التي عاشتها دول المنطقة خلال سنوات الثلاثينات، على أعقاب الأزمة الاقتصادية العالمية لسنة 1929، والتي عصفت باقتصاديات بلدان المنطقة على غرار باقي دول العالم.

فبعد الانهيار المهول لبورصة وول ستريت، أكبر سوق الأسهم في العالم، شهد الاقتصاد الرأسمالي سقوطاً مهولاً على الصعيد العالمي، تسبب في إغلاق عدد كبير من البنوك وتهريب رؤوس الأموال إلى الخارج. إضافة إلى إفلاس الكثير من المؤسسات والشركات، وهو ما خلف ارتفاعاً كبيراً في نسبة البطالة في الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية وغيرها من المناطق، باستثناء الاتحاد السوفيتي، البلد الوحيد الذي لم يتأثر بالأزمة⁴.

1. نسبة إلى نارود، والتي تعني الوطنيين باللغة الروسية، وهي مجموعة من الحركات التي تتكون من فلاحي الطبقة الفقيرة الذين يقطنون في البوادي.

2. GARCÍA, Roberto, Las Raíces del Populismo: los movimientos populistas en Rusia y Estados Unidos, en Revista Argumentos, México, Volumen 23. N° 63, 2010, p. 268.

3. إبان الثورة الصناعية، كان العمال الصغار يتعرضون لانتهاكات سواء من خلال ساعات العمل الطويلة أو الأجور البخسة جداً، ومن هناك ظهرت احتجاجات حول حقوق العمال. ويتم الاحتفال بها في الوقت الحالي من خلال عيد العمال فاتح شهر مايو من كل عام.

4. Ruiz Ocea, El Populismo Clásico en América Latina a través de las figuras de Lázaro Cárdenas y Juan Domingo Perón, Universidad de Cantabria, 2017, pp. 4-6

هذه النتائج الكارثية التي سببتها الأزمة الاقتصادية، ضربت في العمق اقتصاديات بلدان أمريكا اللاتينية، التي كانت تركز بالأساس على تصدير المواد الأولية والمنتجات الزراعية نحو الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا. وقد أدى تراجع استيراد تلك المواد إلى سقوط أئمتها في السوق وفقدان الاقتصاد الأمريكي اللاتيني لحيويته ودخوله في مرحلة كساد ارتفعت معها نسبة الفقر والبطالة، وانتشرت الجريمة في الشوارع.

كما تسببت الضائقة الاقتصادية للدول اللاتينية في ارتفاع كبير للهجرة نحو المدن، مما أدى إلى ظهور أحياء هامشية بكثافة سكانية كبيرة في ضواحي المدن الكبرى، كساو باولو وريو دي جنيريو في البرازيل¹.

ويرتبط العامل السياسي، ثاني أهم أسباب ظهور الشعبوية في المنطقة، بالأنظمة الأوليغارشية التي حكمت بلدان أمريكا اللاتينية منذ أواسط القرن 19، والتي كانت تنهج سياسة اقتصادية تتركز على تصدير المواد الأولية إلى الخارج واستيراد المواد المصنعة. وفي مقابل ذلك، كانت الحكومات اللاتينية تحصل على قروض خارجية كبيرة من تلك الدول، كانت تحافظ عن طريقها على الميزان الاقتصادي وبالتالي استقرار بلدان المنطقة².

في ظل هذا الكساد الاقتصادي الكبير³، أصبحت الأنظمة الأوليغارشية تعيش أزمات داخلية خانقة، عجزت فيها عن احتواء المشاكل الاقتصادية البنوية ونتائجها الاجتماعية كانتشار البطالة والسرقة، وارتفاع نسبة الهجرة نحو المدن.

عجل هذا السياق السوسيو-اقتصادي بظهور زعماء شعبيين يدعون إلى تغيير جذري في الأنظمة القائمة في البلدان، ووعدوا الأوساط الشعبية بسياسة اقتصادية واجتماعية مغايرة لما كان عليه الحال من قبل. وقد استفادت هذه الفئة من الزعماء من شعبية واسعة بين سكان الطبقة العاملة على الخصوص، في ظل فشل النظام القائم الموالي لليبرالية الرأسمالية⁴.

لقد انتشرت الأنظمة الشعبوية في منطقة أمريكا اللاتينية في فترات متفرقة،

1. Hugo R. Galderisi, Realidad social latinoamericana y derecho, 2011, Unidad V.

2. Omar Díaz de Arce, la tradición demo-liberal en América Latina (siglo XIX), Revista Espacio Laical, 2012, p. 59

3. الاسم الذي أطلق على الأزمة الاقتصادية لسنة 1929.

4. Ruiz Ocejja, op. cit. p4-6.

وبسميات وخصائص مختلفة. ظهرت أولاها في عقد الأربعينات والخمسينات تحت اسم الشعبوية الكلاسيكية، وارتبط اسمها بزعيمين اثنين وهما الأرجنتيني خوان بيرون، والبرازيلي جيتوليو فارغاس. وفي عقد التسعينيات عاد التيار من جديد تحت مسمى الشعبوية النيوليبرالية، جسده شخصيات رمزية آنذاك كفوجيموري في البيرو، و كارلوس منعم في الأرجنتين.

أما النسخة الأخيرة من الإيديولوجية الشعبوية، فقد ظهرت مطلع سنة 2000، وأطلق عليها الشعبوية الاشتراكية للقرن 21 أو شعبية القرن 21، قادها زعماء اشتراكيون أبرزهم الفنزويلي هوغو تشافيز، والبوليفي إيفو موراليس، والإكوادوري رافايل كوريبا¹.

ثانيا: زعماء الشعبوية الكلاسيكية في أمريكا اللاتينية

ظهرت الشعبوية الكلاسيكية في أوج الكساد الاقتصادي التي أعقب أزمة سنة 1929 وتسبب في اضطرابات اجتماعية طالبت بتغيير الأنظمة القائمة. وقد تميزت البرامج الشعبوية آنذاك بأسلوب سياسي يعتمد على النظام المطلق.

فسواء مع جيتوليو فارغاس أو خوان بيرون تم اللجوء لتغيير دستور البلاد، من جهة للسماح للرئيس بإعادة الترشح المباشر وضمان رئاسته لفترة طويلة، ولمنحه من جهة أخرى سلطة مطلقة في اتخاذ القرارات المؤثرة مثل إعلان حالة الطوارئ وحل البرلمان، كما هو الشأن بالنسبة لخوان بيرون الذي ألغى خلال تعديله الدستوري سنة 1949 الهيئة الانتخابية ليتسنى له إحكام قبضته على مسار الانتخابات². ومن خلال هذه التغييرات الدستورية تحولت الأحزاب إلى مجرد فاعل غير مؤثر في سير الحكومة، فقد تم تقويض دور الأحزاب المعارضة، وتم إفقادها قوتها أمام السلطة المطلقة التي يتمتع بها الرئيس.

عملت الشعبوية الكلاسيكية من خلال برامج اجتماعية واقتصادية، على كسب ود وتأييد الطبقات العاملة المتوسطة والبرجوازية الصناعية الجديدة، وهو ما وفر لزعماء الشعبوية دعما شعبيا ومصداقية على الصعيد الداخلي والخارجي.

1. María Victoria Murillo, La historicidad del pueblo y los límites del populismo, Revista Nueva sociedad, n°274, Caracas 2018.

2. Sabrina Ajmechet, La constitución de Perún que rompió con el legado de 1853, Periódico Perfil, Marzo 2019.

كما أن الخطاب الشعبي الكلاسيكي المستعمل كان يطغى عليه الطابع الشعبي الذي يثير الحماس لدى الفئة المستهدفة من العمال، ونشير هنا إلى إحدى المقولات الشهيرة للزعيم الأرجنتيني خوان بيرون، حيث قال «بالنسبة للمواطن الأرجنتيني لا يوجد ما هو أفضل من الانتماء للنظام البيروني»¹. وقد ترك جيتوليو فارجاس، حين وضع حداً لحياته، وصية اتهم فيها أنصار الأوليغارشية بالتآمر ضده حين قال «لقد تأمرنا وضدي لأنني ما فتئت أدافع عن الشعب»². لقد تولى جيتوليو فارجاس رئاسة البرازيل في فترتين رئاسيتين متفرقتين ومختلفتين من حيث الظروف والنتائج؛ فترة أولى دامت 15 سنة ما بين 1930 و1945، عرفت إقامة نظام حكم استبدادي وسلطوي، وشهدت تقدماً اقتصادياً ملحوظاً، في مرحلة أطلق عليها فارجاس النظام الجديد. في حين عرفت الفترة الثانية لحكمه ما بين 1951 و1954 نظام حكم ديمقراطي مرمرور الكرام، لعل ما ميزه هو انتحار فارجاس بعد تحسسه لانقلاب عسكري ضده³.

قاد فارجاس انقلاب/ثورة 1930 المشهورة، التي وضعت حداً للجمهورية البرازيلية الأوليغارشية، المعروفة بالجمهورية العجوز (1889-1930)، تناوبت خلالها على الحكم ولايتين فيدراليتين رئيسيتين هما ساو باولو وميناس جيرائس العملاقتين في إنتاج القهوة والحليب. وقد استأثرت هاتين الولايتين باقتصاد البلاد على حساب باقي الولايات البرازيلية، وذلك من خلال سياسات تخدم مصلحة بارونات إنتاج القهوة في البلاد من الطبقة العليا المقربة إلى الحكم، بينما ظلت الولايات الأخرى تعيش التهميش والحرمان⁴.

وقد سببت تلك الوضعية في خروج تظاهرات كثيفة على مدى عقد العشرينات، قادها شبان ينتمون إلى الجيش البرازيلي احتجاجاً على نظام الحكم الأوليغارشي في البلاد. وقد تخضت عنها ثورة، كللت بانقلاب عسكري بزعامة جيتوليو فارجاس سنة 1930، وأدت إلى إسقاط نظام الجمهورية العجوز وانتخاب فارجاس رئيساً للبلاد.

1. A 42 años de la muerte de Perón, 20 de sus frases más célebres, El cronista, Julio 2016, cronista.com

2. Carlos Morales, "Carta-testamento de Getúlio Vargas", La Opinión Popular, Julio 2013, laopinionpopular.com.ar

3. Hirst Monica, La época de Vargas: 1930-1945, Literatura de Ciencias Sociales, Argentina 1981, pp. 1-2.

4. Hirst Monica, ibid.

سنتين بعد انتخابه، أعلن فارغاس عن قيام نظام دكتاتوري، أطلق عليه النظام الجديد. قام الرئيس فارغاس خلال هذه المرحلة ما بين 1937 و1945 بإحكام قبضته على دواليب الحكم بإقرار دستور للبلاد يضمن للرئيس سلطة مطلقة في اتخاذ القرارات، في إطار نظام استبدادي تمتع بدعم كبير من الجيش. كما أخضع وسائل الإعلام والأعمال الثقافية للرقابة الحكومية المباشرة¹.

وعلى المستوى السياسي، دخل نظام فارغاس في سياق شبكة من الأنظمة الاستبدادية التي شهدتها أيضا أوروبا في تلك الفترة، تزعمتها أسماء مثل هتلر في ألمانيا، وموسوليني في إيطاليا، أو فرانكو في إسبانيا.

وعلى المستوى الاجتماعي، أسس فارغاس نظاما يولي أهمية كبيرة للطبقة العاملة التي كانت تعاني الإقصاء، حيث خلق منذ بدايات حكمه مؤسسة إدارية أطلق عليها وزارة شؤون الشغل والصناعة والتجارة، وقام بإقرار ساعات العمل الثمانية، وتقنين تشغيل النساء والأطفال. كما عمل على إنشاء وتقوية الجمعيات النقابية، بالمصادقة على القانون النقابي وخلق ما يسمى بالضريبة النقابية.

وعلى المستوى الاقتصادي، تمكن الرئيس فارغاس من وضع الحجر الأساس لنظام يعتمد على إخضاع المنتجات البرازيلية المدرة للدخل للرقابة الحكومية، وإنشاء شركات وطنية أصبحت فيما بعد مؤسسات اقتصادية عملاقة في منطقة أمريكا اللاتينية، كالشركة الكهرومائية لساو فرانسيسكو، والمجلس الوطني للبترو الذي تحول بعد ذلك إلى شركة البترول العملاقة المعروفة ببتروبراس (1953)².

قام فارغاس في نفس السياق، بتشجيع التصنيع الداخلي مقابل سياسة الاستيراد التي كان يهجمها من قبل النظام الأوليغارشبي، في إطار مشروع سياسي جديد تلعب فيه الطبقة العاملة دورا محوريا. وقد أشار فارغاس في خطاب ألقاه أمام حشد من العمال إلى أن الطبقة الشغيلة في الماضي كانت خارج المنظومة الحكومية، أما خلال فترة حكمه فهي داخل الحكومة³.

وكانت السياسة الخارجية لجيتوليو فارغاس من بين أسباب سقوط نظامه، فقد

1. Eduardo Victorio Morettin, Cine y Estado en Brasil: Intervención, Censura y producción de imágenes del poder, Revista Archivos de Filmoteca, n°46, Valencia Febrero 2004.

2. Ribeiro, Cássio García, Petrobras 60 años: avances y retrocesos en el desarrollismo brasileño, Revista América Latina, Hoy, Tomo 72, Salamanca, Abril 2016.

3. Flavia freidenberg, La tentación populista, una vía al poder en América Latina, Editorial SINTESIS, España 2007, p. 75.

قرر دخول غمار الحرب العالمية الثانية إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية في صف الحلفاء، مما سبب موجة من الانتقادات داخل البرازيل، تخض عنها تدخل قيادات عسكرية أجبرت فارجاس على التخلي عن الحكم. وقد عاد الزعيم الشعبي فارجاس للرئاسة بعد ذلك ما بين 1950 و1954، في مرحلة تميزت بعدم الاستقرار، واصل خلالها سياسته الوطنية المدافعة عن الفئات العاملة من المجتمع، إذ كان يطلق عليه لقب أب الفقراء. غير أن فارجاس كان تحت الضغط المستمر للمؤسسة العسكرية، صرح خلالها غير ما مرة بتلقيه تهديدات إلى حين انتخابه سنة 1954 قبيل إتمام فترة حكمه. مرت مرحلة الرئيس الأرجنتيني الراحل خوان بيرون بنفس المحطات، حيث انتخب رئيساً في مرحلتين، أبرزها -1945- 1952، عن طريق انقلاب عسكري كذلك، سببته الثورة التي قادها بيرون على نظام الحكم بدعم كبير من الجيش ومساندة شريحة كبيرة من الطبقة الشعبية العاملة¹. قبل أن يعلن قيام نظام استبدادي شيوعي بحزب واحد أطلق عليه الحزب البيروني. وعمل بيرون خلال فترة حكمه الأولى على تقوية العمل النقابي والطبقة العاملة كدعامات أساسية لسياسته الداخلية. حيث قام بإعادة توزيع الثروات لصالح الطبقات المهمشة من المجتمع، على غرار جيتوليو فارجاس. كما اعتمد سياسة اقتصادية تقوم على أساس تقوية الصناعة الداخلية وخلق فرص الشغل، وتأميم الشركات المهمة في البلاد المرتبطة بالنقل والمحروقات. كما صار خوان بيرون على نهج فارجاس على المستوى الاجتماعي أيضاً، حيث قام بتعزيز مكانة المرأة في المجتمع، بتقنين حق المرأة في التصويت، كما عمل على إعادة الاعتبار للطبقة العاملة في البلاد وتأييد طبقات النخبة الجديدة المناوئة للأوليغارشية.

وشهدت سنة 1955 نهاية حكم بيرون، بعد أن اشتدت المظاهرات المعارضة، خصوصاً بعد التعديل الدستوري الذي يسمح له بالترشح للانتخابات

1. El Populismo Clásico en América Latina a través de las figuras de Lázaro Cárdenas y Juan Domingo Perón, op. cit. p.32.

الرئاسية، دون أن يقوم بإقرار حق الإضراب، موقداً بذلك شرارة الاحتجاجات في الشارع وسط المعارضة والفئات العسكرية المناوئة له. وقد تم خلع بيرون من منصبه هو الآخر عن طريق انقلاب عسكري أواخر سنة 1955. لقد ظلت المؤسسة العسكرية تتحكم بدواليب الحكم خلال الفترة الشعبوية الكلاسيكية، حيث أنها كانت وراء تنحية خوان بيرون عن الحكم عن طريق انقلاب عسكري، ولولا انتحار فارجاس خلال نهاية حكمه للقي نفس المصير، إذ كان تحت ضغط المؤسسة العسكرية طوال فترة حكمه الأخيرة.

ثالثاً: زعماء الشعبوية النيولبرالية

انتشرت الشعبوية النيولبرالية في المنطقة خلال عقد التسعينيات، وتميزت بظهورها في ظرفية اقتصادية خانقة نظراً لتبعات أزمة الديون السيادية، أو ما أطلق عليه بالعمالة الضائعة في الثمانينيات، حيث شهدت مستويات تضخم مفرطة، ترتب عنها إفلاس الشركات وتسريح العمال. تزامنت الشعبوية النيولبرالية بسطوع نجم النظام الليبرالي الرأسمالي الأمريكي، إثر تفكك الاتحاد السوفيتي وانهيار المعسكر الاشتراكي نهاية الثمانينيات، مما عجل بظهور أنظمة سياسية، خارجة عن الحقل السياسي الحزبي، قائمة على التحديث وسياسة اقتصادية نيولبرالية محضة.

وقد اتبع زعماء الشعبوية النيولبرالية نفس خصائص أسلافهم من الشعبوية الكلاسيكية، من قبيل الشخصية الكاريزمية التي تستهدف الفئة المتضررة من المجتمع، عن طريق خطاب مليء بالوعود والحماس لكسب الدعم والاعتراف الجماهيري. لكن الجيل الجديد تمتع ببعض الخصائص المستحدثة كوسائل الإعلام المرئية، واستعمال استطلاعات الرأي التي عوضت التنظيمات النقابية والانتماءات الحزبية التقليدية¹.

لقد تجسدت هذه الشعبوية في شخصية ألبرتو فوجيموري، المهندس الزراعي ذو الأصول اليابانية، الذي تقلد رئاسة البيرو خلال مرحلة 1990 - 2000، على

1. John Crabtree, Populismo y Neopopulismo: La experiencia peruana, Julio-Septiembre 1997, Colegio de México, p. 3.

رأس حزب جديد بإيديولوجية ليبرالية، تخللها انقلاب ذاتي أعلنه فوجيموري سنة 1992، حيث أقر من خلاله دستورا جديدا عزز به صلاحياته كرئيس ذو سلطة مطلقة واقتصاد بإيديولوجية ليبرالية¹. لقد كان فوجيموري يطمح من خلال ذلك الانقلاب حل البرلمان والقضاء على الأغلبية التي كانت تحوزها المعارضة في البرلمان السابق، حيث أعلن إجراء انتخابات برلمانية جديدة أصبحت فيها الأغلبية لأنصار فوجيموري. كما اعتمد سياسات نيوليبرالية، بفضل الدعم اللامشروط الذي تلقاه سواء من الطبقة العاملة أو من المؤسسة العسكرية.

لقد عمل الرئيس البيروفي خلال سنواته الأولى على اتخاذ تدابير نيوليبرالية، برفع الرقابة الحكومية على الاقتصاد والقطاع الخاص، وتبسيط النظام الجمركي لفتح المجال أمام الاستثمارات الأجنبية، إضافة إلى خصخصة عدد كبير من المؤسسات الاقتصادية العمومية لخفض مستوى الإنفاق².

عرفت الفترة الرئاسية ما بين 1990 و 1995 إجراء مجموعة من التدابير التقشفية التي عانى خلالها المواطنون في البداية، من قبيل تسريح موظفي القطاع العام وتجميد الأجور وخفض التعريفات الجمركية لجذب الاستثمارات الخارجية. إلا أن هذه التدابير أفرزت نتائج جد إيجابية في الأخير، بعد أن تمكن من احتواء الصراعات التي كانت تشهدها الحكومة السابقة مع المجموعات الاقتصادية³، ومعالجة التراجع المهول في نسبة عائدات الضرائب⁴، ليعود القطر الاقتصادي للبلاد إلى سكوته الصحيحة بعد انخفاض نسبة التضخم.

هذا التحسن الإيجابي في الجانب الاقتصادي، رفع من شعبية فوجيموري، وجعله يترشح لولاية جديدة اكتسح خلالها انتخابات سنة 1995⁵. غير أن الاقتصاد البيروفي دخل مرة أخرى في ركود كبير سببته أزمة آسيا (1997) وروسيا (1998)، حيث تأثرت على صادرات البلاد من المواد الأولية، مسببة

1. Redacción, "Qué cambios generó la Constitución Política de 1993?", Periódico Rpp Noticias, Abril 2016 rpp.pe

2. من بين المستجدات التي جاء بها دستور 1993، أصبح القطاع الخاص حرا ويخضع لاقتصاد السوق، فيما يقتصر دور الحكومة على التوجيه. الفصل 59 من الدستور البيروفي لسنة 1993.

3. Elizabeth Salazar Vega, El poder económico en El Perú está representado por 12 grupos empresariales, Julio 2016. ojo-publico.com

4. Lowenthal Abraham, Latinoamérica en los 90's , semana.com

5. Juan Jesús Aznarez, Fujimori culmina su aplastante reelección como presidente de Perú con el control del parlamento, elpais.com

تراجعا في قيمة الصادرات مما أدخل المجتمع في موجة من الاضطرابات من جديد. ويعتبر الجانب الاقتصادي العامل المباشرة الذي كان وراء سقوط نظام فوجيموري، حيث أن السياسة النيولبرالية التي اعتمدها طوال عقد التسعينيات صارت نقمة خصوصا بالنسبة للفئات الشعبية والطبقة العاملة.

لكن القشة التي قسمت ظهر نظام فوجيموري هي حالات الفساد التي ظهرت في حكومته، والتي بسببها فقد دعم الطبقة الشعبية، وصارت تطالب برحيله. ومما زاد من الاحتقان إصرار الرئيس على الترشح لولاية ثالثة سنة 2000، بدعم من فئة موالية له من أعضاء الجيش. ورغم أنه تمكن من الفوز في استحقاقات شابتها الشكوك، لكنه اضطر للتخلي عن الحكم بعد ذلك بقليل، بعد أن ظهرت حالات فساد جديدة ضده جعلته في قفص الاتهام، كحالات الرشوة والاعتقال وجرائم ضد الإنسانية طوال فترة حكمه.

ومن الجانب السياسي كان نظام فوجيموري سلطويا مركزيا بامتياز، بعد أن عمل على تغيير الدستور وحل البرلمان للقضاء على الأغلبية المعارضة فيه، كما أن نظامه شهد الكثير من حالات الفساد من رشوة واعتقالات واغتيالات في صفوف المعارضة، نجم عنها تخلي الرئيس عن الحكم وفراره من البلاد.

لقد كانت أزمة الثمانينات وثقل المديونية وراء ظهور شعبية جديدة بإيديولوجية نيولبرالية، لعبت خلالها المؤسسة العسكرية دورا رئيسيا، حيث كان الرئيس فوجيموري يتمتع بدعم لا مشروط من طرف جزء كبير من الجيش، وفروا له الحماية خلال تغييره للدستور وحله للبرلمان وحتى خلال إعلانه الترشح لولاية ثانية سنة 2000. فالمؤسسة العسكرية إذن وكما حصل مع الشعبوية الكلاسيكية، ظلت تتمتع بنفوذ وقدرة على التدخل في الحياة السياسية.

المبحث الثاني: أزمة الجيل الجديد من الأنظمة الشعبوية في أمريكا اللاتينية

أولاً: زعماء الشعبوية الاشتراكية للقرن 21

ترتبط الشعبوية الاشتراكية للقرن 21 بأنظمة ذات إيديولوجية اشتراكية محضة، ظهرت جراء انعدام التوازنات السوسيو-اقتصادية التي تركتها الفترة النيولبرالية في المنطقة.

ومن العوامل الأساسية التي ساعدت على انتشار الأنظمة الشعبوية ذات الإيديولوجية الاشتراكية في منطقة أمريكا اللاتينية، هو سقوط الإتحاد السوفيتي الذي كان يحمل شعار الاشتراكية، تاركا المجال أمام الرأسمالية التي تمثلها الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد عمل زعماء الأنظمة الشعبوية الاشتراكية على إعادة الاعتبار لتوجههم الإيديولوجي، والإطاحة بالأنظمة التي كانت تعتمد البرامج الليبرالية¹ وترتبط بالمؤسسات المالية الدولية وعلى رأسها البنك الدولي وصندوق النقد الدولي. فقد اعتمدت الأنظمة السابقة مجموعة من التدابير التقشفية التي سببت عددا من التظاهرات الشعبية عجلت بظهور الأنظمة الاشتراكية التي نادى ببرامج اقتصادية مناوئة لليبرالية.

ويمكن تقسيم الأنظمة الاشتراكية في أمريكا اللاتينية إلى مجموعتين، مجموعة يمكن اعتباره اشتراكية منفتحة حديثة يمثله زعماء مثل ميشيل باشليت في الشيلي وتاباري فاسكيز في الأوروغواي، ومجموعة بإيديولوجية قومية ومثيرة للجدل، مثل هوغو تشافيز في فنزويلا وإيفو موراليس في بوليفيا، ورافاييل كوريا في الإكوادور².

وقد جسد هذا النظام الشعبوي الاشتراكي، الزعيم الفنزويلي هوغو تشافيز، قبل أن ينتقل بريقه إلى دول الجوار. ويمكن الإشارة إلى عاملين أساسيين جعلوا

1. ميثاق وضع البنك الدولي وصندوق النقد الدولي سنة 1989، يتكون من العديد من الإجراءات الاقتصادية، فرضته على بلدان العالم الثالث (بما فيه بلدان أمريكا اللاتينية) كشرط على تلقيها قروض سيادية للخروج من الأزمة الاقتصادية.

2. Soledad Stoessel, Giro a la izquierda en la América Latina del siglo XXI, Polis Revista Latinoamericana, Centro de Investigación Sociedad y Políticas Públicas, 2014. p. 3.

من تشافيز رمزاً للشعبوية الاشتراكية في أمريكا اللاتينية، أولها أن تشافيز قاد أولى الحركات الشعبية المعادية للأنظمة القائمة في عقد التسعينات، حيث قام بتأسيس الحركة البوليفارية الثورية سنة 1982 قاد من خلالها انقلاباً على النظام سنة 1992 لكنه كُله بالفشل وتسبب في سجنه، قبل أن يصل بعد ذلك للرئاسة سنة 1998.

لقد عرف تشافيز بتشبعه الكبير بالفكر الثوري الذي مثلته الثورة الكوبية الاشتراكية، بزعامة القائد فيديل كاسترو. هذه الثورة كانت الأولى من نوعها التي واجهت النظام المناوئ للإيديولوجية الرأسمالية الأمريكية (نظام جمهوري دكتاتوري برئاسة فولخينسيو بابتيستا، بعد قيادته لانقلاب عسكري بتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية)، في صراعه مع المعسكر الاشتراكي (الاتحاد السوفيتي).

قام الرئيس تشافيز ما بين 1998 و 2013 منذ وصوله إلى الحكم، بتوطيد علاقته مع الرئيس الكوبي الراحل فيديل كاسترو، جعلهما يشكّلان حجر أساس لحقبة اشتراكية تاريخية في منطقة أمريكا اللاتينية ككل. فقد وقع الطرفان على ائتلاف ثنائي كوبي فنزويلي قائم على التبادل الاقتصادي (تبيع فنزويلا لكوبا 94 ألف برميل بترول يوميا بأثمنة تفضيلية)، وعسكري، بعد أن كان للدعم العسكري الكوبي دوراً كبيراً في مساعدة الرئيس الفنزويلي، خصوصاً في الأزمة السياسية التي واجهها بداية رئاسته 2002.

هذا التحالف بين البلدين فاق ما هو سياسي واقتصادي، ليصم على علاقة صداقة وطيدة بين النظامين الاشتراكيين، حيث ظل القائدان يتبادلان الزيارات فيما بينهما، واستمرت العلاقة بعد تنازل فيديل كاسترو عن الحكم لصالح أخيه راؤول كاسترو. وقد اختار تشافيز العاصمة الكوبية مكاناً للمعالجة من السرطان الذي ألم به سنة 2011 وكان سبباً لوفاته سنة 2013 ليخلفه بعد ذلك نيكولاس مادورو. وقد استمرت علاقة الصداقة والتحالف بين النظامين الكوبي والفنزويلي، وتعتبر كوبا حالياً الحليف والمسند الأول للنظام الاشتراكي في كاراكاس في الأزمة السياسية التي يشهدها منذ سنة 2014.

وتمثل العامل الثاني، الذي جعل تشافيز يتزعم الشعبوية الاشتراكية، في الشخصية الكاريزمية التي طورها وجعلته يثير إعجاب وحماس الشرائح العاملة

والمتوسطة من المجتمع الفنزويلي. حيث أن انتمائه لعائلة عاملة متوسطة جعله يتمتع بنوع من المصداقية والدعم، وهي النقطة التي اعتمد عليها تشافيز في خطابه الشعبية.

قام تشافيز منذ انتخابه رئيساً للبلاد سنة 1998 بنفس الخطوة التي قام بها أسلافه من الأنظمة الشعبية السابقة، وهي إضعاف المعارضة، حيث أخضع الجهاز القضائي لإصلاح عين من خلاله قضاة موالين له، وعمل تشافيز على تقديم النظام النيولبرالي السابق، والأحزاب الفنزويلية التقليدية، على أنها الأسباب الرئيسية للمآسي الاقتصادية والاجتماعية التي تعانيها فنزويلا.

كما تقوى تشافيز بعد انتصاره في الاستفتاء الشعبي الذي أقيم من أجل إرغامه على الاستقالة سنة 2004. وقام بعدها سنة 2007 بتعديل الدستور قصد تمديد فترات ترشحه لرئاسة البلاد التي كانت محددة في فترة رئاسية واحدة، ليصبح للرئيس الحق في الترشح لفترات متعددة، وقد فسر تشافيز هذه الخطوة بكون الشعب هو العنصر الوحيد الذي يحدد من سيمثله¹.

إن قوة الخطاب الشعبي لتشافيز جعلته يتجاوز الأزمة السياسية التي عانى منها في سنوات حكمه الأولى، وصار مع مرور الوقت يهيمن على مختلف مكونات المجتمع الفنزويلي، خصوصا الفئة الغالبة والمتكونة من الطبقة العاملة والنخبة، وقد ساعده على ذلك معاداته التقليدية لواشنطن².

لقد عملت الولايات المتحدة الأمريكية منذ انهيار المعسكر الشرقي، على بسط هيمنتها جنوب القارة الأمريكية، عن طريق تشجيع أنظمة حليفة لها في المنطقة، في إطار سياستها الخارجية التقليدية نحو المنطقة وخصوصا مبدأ مونرو. فقد كانت واشنطن وراء الأزمة السياسية التي تعرض لها تشافيز في بداياته عن طريق تحريض الأحزاب المعارضة وبعض عناصر المؤسسة العسكرية على الانقلاب على تشافيز لولا التدخل الكوبي.

1. Juan Francisco Alonso, Chávez presenta una reforma constitucional que le permitirá gobernar indefinidamente, Agosto 2007, elPais.com

2. Daniel Hellinger, Tercermundismo y Chavismo, Espacio Abierto: Cuaderno Venezolano de Sociología, Venezuela 2003.

واستغل تشافيز المؤامرات الأمريكية ضده لاستقطاب شرائح واسعة من المجتمع الفنزويلي، من خلال تركيزه على النزعة القومية للمواطنين، معتبرا أن واشنطن تعمل على استغلال الثروات الطبيعية للبلدان اللاتينية¹، مناديا بالتآخي بين كل البلدان اللاتينية ضد التهديد الرأسمالي الأمريكي. وقد كان لخطابه القومي الأثر الإيجابي ليس فقط في فنزويلا، بل في مجموعة من البلدان المجاورة ككوليفيا ونيكاراغوا والأرجنتين وغيرها.

كما استغل تشافيز شخصية سيمون بوليفار التاريخية والثورية التي تحظى بإعجاب وتقدير في منطقة أمريكا اللاتينية. إذ عمل على إيقاظ الفكر الثوري والقومي في الفنزويليين واللاتينيين ككل، ضد من يعتبره التهديد الأمريكي لوحدة وحرية بلدان المنطقة، مما جعله يتحول مع مرور الوقت إلى شخصية ثورية في المنطقة تجسد شخصية سيمون بوليفار، صارت معه الشعبية الاشتراكية توصف بالشعبوية التشايفية نسبة لهوغو تشافيز.

إضافة إلى معاداته للسياسة الأمريكية في المنطقة، ركز تشافيز برنامجه السياسي على انتقاد السياسة النيوليبرالية خلال عقد التسعينيات، التي حملها مسؤولية الوضعية الاقتصادية التي آلت إليها البلاد. كما أن فقدان الأحزاب التقليدية لمصداقيتها ساعده كثيرا على إضعاف المعارضة.

وركزت السياسة الداخلية لتشافيز، على غرار باقي الزعماء الاشتراكيين في تلك الفترة، على خطاب شعبي محض، دعا فيه إلى الدفاع عن حقوق العمال من الطبقة المتوسطة، وإنشاء جهاز نقابي يعمل على ضمان الحقوق للطبقة العاملة. وقد استغل في ذلك القنوات الإذاعية، حيث كان التلفزيون الفنزويلي يبث برنامجا أسبوعيا بعنوان "ألو الرئيس" يوجه فيه تشافيز خطاباته للمواطنين، إذ تم استغلال وسائل الإعلام للتواصل المباشر مع الشرائح الشعبية.

ويعتبر الاشتراكيون أن الثروات الطبيعية للبلدان يجب أن تخضع للمراقبة المباشرة للحكومة، حتى يتسنى تقسيمها بطريقة متساوية بين فئات المجتمع، وخاصة

1. هوغو تشافيز وفيديل كاسترو كانا وراء تأسيس منظمة ألقا (2004)، التي تضم كل دول أمريكا الجنوبية والوسطى بالإضافة إلى جزر الكاريبي، قصد مواجهة الفقر والإقصاء الاجتماعي، وتدعو للتعاون الاقتصادي بين البلدان.

الفئة العاملة والمتوسطة، مواجهين بذلك السياسة النيولبرالية في المنطقة. كما أصدروا دساتير جديدة تحفظ للطبقة الفقيرة حقها في التمتع بثروتها وكرامتها بإقرار جهاز قضائي قائم على الاستقلالية والعدالة، وهي سياسة تتشابه مع السياسة التي نهجت في أربعينيات القرن الماضي بقيادة الشعبية الكلاسيكية. كما سلكت الأنظمة الشعبية الاشتراكية نفس أسلوب النظام السياسي المركزي، وهو أسلوب يعمل فيه الرئيس على تركيز كل السلطات بين يديه، وتضييق الخناق على الأحزاب المعارضة في كل بلد. ففي الحالة الفنزويلية مثلاً، قام تشافيز بإنشاء حزب جديد معتبراً أن الأنظمة القديمة فاسدة وفاقدة للمصداقية.

لقد عمل الزعماء الشعبيون على تكوين كتلة ذات إيديولوجية اشتراكية في أمريكا اللاتينية، دافعوا عنها كلحمة موحدة تحت قيادة الزعيم الكاريبي تشافيز الذي كان يتمتع بالاحترام والتقدير في كل المنطقة، بصفته سفيراً للثورة البوليفارية المعادية للولايات المتحدة الأمريكية والأنظمة الموالية لها. وقد سيطرت هذه المنظومة الاشتراكية على زمام الحكم في أغلب بلدان المنطقة طوال عقد مدافعين عن بعضهم البعض خلال الأزمات.

لعل من بين المستجدات الرئيسية التي أتت بها النسخة الثالثة من الشعبية في منطقة أمريكا اللاتينية، هو اختفاء الانقلابات العسكرية التي كانت تظهر بين الفينة والأخرى في المنطقة. كما أن الأنظمة الاشتراكية الشعبية تختلف عن سابقتها في طريقة الوصول إلى الحكم، حيث أن شعبيون مثل بيرون أو فارجاس وصلوا إلى الحكم عن طريق انقلابات سواء عسكرية أو مدنية، بينما الشعبويون الجدد في المنطقة وصلوا إلى الحكم عن طريق الاقتراع، بمن فيهم تشافيز الذي بعد محاولة انقلابية فاشلة سنة 1992، دخل غمار الانتخابات سنة 1998 ونال رئاسة البلاد بطريقة ديمقراطية.

ثانيا: أزمة الأنظمة الشعبوية في أمريكا اللاتينية

على الرغم من الاستقرار السياسي الذي حققته الأنظمة الشعبوية الاشتراكية، والتعهدات بإقامة أنظمة ديمقراطية تشاركية في أمريكا اللاتينية، إلا أنه يمكن التشكيك في مدى مصداقية الأنظمة الاشتراكية، بالنظر إلى الخطوات التي اتبعوها والإجراءات التي اعتمدها منذ الوصول إلى الحكم.

لم يكن تشايفيز يعتبر نفسه رئيسا لفترة رئاسية محدودة، بل رمزا للاشتراكية في المنطقة ككل، حيث أن تأثيره بشخصية سيمون بوليفار سبب له نوعا من الهوس وجنون العظمة، فقد أقدم على تغيير اسم الدولة، ليطلق عليها الجمهورية البوليفارية، كما أطلق على الثورة التي قادها الثورة البوليفارية، واعتمد في ذلك على العداء للولايات المتحدة الأمريكية، ليدعو في خطابه إلى الاتحاد اللاتيني-الأمريكي ضد العدو الشمالي¹.

كما استغل زعماء الاشتراكية الشعبوية الأزمة الاقتصادية والسياسة النيوليبرالية التي اتخذت خلال عقد التسعينيات، وتم اعتماد خطابات غنية بالطابع القومي، تعد بالديمقراطية التشاركية والتقسيم العادل للثروات. ولعل الدليل على ذلك هو كون الديمقراطية التي عمل الشعبويون الاشتراكيون على تطبيقها في بلدان المنطقة لا يمكن اعتبارها ديمقراطية مؤسساتية تشاركية، إنما هي ديمقراطية مركزية ذات فترات زمنية غير محددة بالقوانين الدستورية، ولا تقبل انتقادات المعارضين، يكون فيها المحور الرئيسي هو الزعيم الشعبوي، الذي يعتبر نفسه رمزا للوحدة والاستمرارية. فتشايفيز، على سبيل المثال، كان يعتبر العناصر المعارضة لإيديولوجيته خونة ودعاة للفتنة وجب القضاء عليهم².

أصبحت هذه المؤشرات كلها مع مرور الوقت، ترسم صورة قائمة حول النماذج الشعبوية الاشتراكية في المنطقة، ليعود شبح الدكتاتورية والاستبدادية يلوح من جديد في سماء بلدان أمريكا اللاتينية، وظهر توجس من إمكانية تحول الأنظمة الاشتراكية إلى أنظمة استبدادية كما كان عليه حال أشكال الشعبوية الماضية سواء الكلاسيكية أو النيوليبرالية.

1. María Victoria Almonte, El populismo en América Latina : pasado o presente, Fundación Iberoamérica Europa, Madrid 2009

2. Ibid.

الأکید أن الأنظمة الاشتراكية طبعت مرحلة تاريخية في المنطقة قاربت عقدين من الحكم، وبلغ خلالها عدد البلدان ذات الحكومات اليسارية 11 بلدا. لكن دخلت بعد ذلك الأنظمة الاشتراكية في موجة من الأزمات السياسية، ترتبت عنها سلسلة من الاحتجاجات الشعبية طالبت برحيل مجموعة من الزعماء. ترجع أسباب الأزمات الاشتراكية أساسا إلى العوامل الاقتصادية، بسبب تدهور أسعار البترول في السوق وتراجع نسبة الطلب على المواد الأولية وغلاء الأسعار وتدني مستوى المعيشة. لكن العامل المحوري المسبب لاحتقان الشارع اللاتيني يتمثل في تفشي الفساد بين النخب السياسية من خلال الحالات المرتبطة بشركة البناء البرازيلية العملاقة أودبريخت، والتي شملت عددا من رؤساء و كبار مسؤولي 12 بلدا في المنطقة.

لقد اعتبر الرأي العام اللاتيني أن سقوط بعض الأنظمة الاشتراكية التقليدية، خلال الانتخابات الرئاسية المتعددة التي شهدتها المنطقة ما بين 2017 و2019، مؤشرا كبيرا على نهاية حقبة اليسار في أمريكا اللاتينية لفائدة الأنظمة اليمينية في البرازيل على الخصوص. فبعد 13 سنة في قيادة البرازيل، بين لولا داسيلفا وديلما روسيف، تعرض حزب العمال الاشتراكي التقليدي للهزيمة خلال الاستحقاقات الرئاسية التي شهدتها البلاد سنة 2018. ففي الوقت الذي كان فيه داسيلفا في السجن بسبب ملف قضائي منعه من الترشح للانتخابات، فشل المرشح اليساري فيرناندو حداد أمام المرشح اليميني جاير بولسونارو. ولم يكن البرازيل البلد الوحيد في المنطقة الذي شهد سقوط النظام اليساري، فالأرجنتين والشيلي كرست أفول نجم الأنظمة اليسارية في المنطقة منذ بداية القرن.

إن بلدانا أخرى مثل بوليفيا ونيكاراغوا وعلى الرغم من استمرارها في الحكم فهي تمر بأزمات سياسية على إثر تزايد المطالب الشعبية بالتغيير ومغادرة الحكم. ففي بوليفيا، نجد أن الزعيم الشعبي إيفو موراليس، الذي ترأس البلاد منذ سنة 2006، دخل في صراع مع الأحزاب المعارضة وشريحة عريضة من الشارع

البوليفي، بعد أن قرر خوض غمار الاستحقاقات الانتخابية في أكتوبر 2019 على الرغم من أن دستور البلاد كان يمنعه من ذلك¹.

وكانت حكومة موراليس قد نظمت استفتاء في فبراير 2016، قصد إلغاء الفصل 168 من الدستور، لضمان ترشح موراليس لانتخابات أكتوبر 2019، إلا أن المواطنين البوليفيين صوتوا ضد المقترح الحكومي. غير أن محكمة الانتخابات العليا قررت في الأخير السماح لموراليس بالترشح للانتخابات، وهو ما دفع بالعديد من المرشحين من الأحزاب والفئات المعارضة للخروج في احتجاجات للشوارع مطالبين المحكمة الانتخابية بالعدول عن قرارها²، وسط شكوك كبيرة حول الشفافية التي ستعامل بها المحكمة الانتخابية مع استحقاقات أكتوبر، فالمعارضة تعتبر أن قرار المحكمة المذكور يعتبر مؤشرا على عدم حيادها في نتائج الاستحقاقات.

وبالنسبة لنيكاراغوا، فزعيم الجبهة الساندينية دانييل أورتيغا، الذي يت رأس البلاد منذ سنة 2007، يتلقى ضغطا كبيرا من منظمات حقوق الإنسان، بسبب حالات انتهاكات لحقوق الإنسان وجرائم ضد الإنسانية ضد معارضيه. وتشهد نيكاراوغوا منذ سنة 2018 موجة من الاحتجاجات تنزعها الأحزاب المعارضة للنظام بسبب قرار رئيس البلاد بتنصيب زوجته روزاريو موريو نائبة له، في خطوة اعتبرها الكثير انطلاقة لإقامة سلالة عائلية في الحكم. وقد دعت المعارضة للخروج إلى الشوارع قصد إجبار الرئيس عن التنحي³.

من جهته، يعتبر نظام أورتيغا أن الاحتجاجات التي تشهدها الشوارع يتم فبركتها من طرف واشنطن، وأن الفصائل المعارضة تحضر لانقلاب في البلاد، بدعم من الجارة الشمالية. كما أنه يدعو المعارضة للجلوس إلى طاولة المفاوضات قصد إيجاد مخرج سلمي للأزمة. أما واشنطن، فتصدر عقوبات على أورتيغا وعدد أعضاء حكومته، احتجاجا على حالات العنف ضد معارضيه التي أودت بحياة المئات من المحتجين.

1. يمنع الفصل 168 من الدستور البوليفاري رئيس البلاد ونائبه من الترشح لولايتين متتاليتين.

2. Las elecciones de 2019, protestas en Bolivia contra la postulación de Evo Morales a un cuarto mandato, 06/12/2018, clarin.com

3. A un año de la ola de protestas contra Daniel Ortega en Nicaragua, la oposición llamó a la población a volver a las calles, periódico Infobae, 20/07/2019, infobae.com

ويبقى الوضع في فنزويلا الأكثر حدة في المنطقة، فمذ وفاة الزعيم تشافيز، يعيش الرئيس الحالي نيكولاس مادورو أزمة سياسية غير مسبقة بعد أن قرر هذا الأخير تأدية القسم كرئيس لولاية جديدة، بعد انتصاره في انتخابات 2018 التي قاطعتها المعارضة ولم تعترف بنتائجها، بسبب التلاعب في نتائجها. وقد بلغت الأزمة ذروتها بعدما قرر البرلمان الفنزويلي الذي تسيطر عليه المعارضة، سحب الاعتراف بمادورو كرئيس للبلاد، مطالبا إياه بالتنحي وإعلان انتخابات جديدة. وقد نصب البرلمان الفنزويلي رئيسه خوان غوايدو رئيسا مؤقتا للبلاد، في إطار ما اعتبره فراغا في السلطة، إلى حين إقامة انتخابات جديدة. وقد أدت الأحداث المتتالية إلى تقسيم البلاد إلى مؤيد ومعارض لمادورو، مما عجل بتأجج الشارع وانتشار الاحتجاجات والاشتباكات، أسفرت عن سقوط قتلى وجرحى وتسجيل اعتقالات. وقد سببت الوضعية المتوترة نزوح ملايين المهاجرين الفنزويليين نحو دول الجوار، في حالة وصفها الأمم المتحدة بالأزمة الإنسانية.

وعلى الصعيد الخارجي، انقسم العالم إلى طرفين متعارضين، حيث قررت الولايات المتحدة الأمريكية ومجموعة كبيرة من الدول الأوروبية ودول أمريكا اللاتينية الاعتراف بـخوان غوايدو رئيسا شرعيا للبلاد، فيما تتزعم روسيا والصين الكفة المساندة لنيكولاس مادورو. وتواصل المؤسسة العسكرية دعمها لمادورو على الرغم من الضغط الخارجي الذي تفرضه واشنطن، من خلال العقوبات الاقتصادية وتجميد الأرصدة البنكية المفتوحة في الولايات المتحدة للرئيس وأعضاء حكومته وعدة شخصيات فنزويلية. ويجهل لحد الآن إلى ما ستؤول إليه الأزمة، بين توقعات بجلوس الأطراف إلى طاولة المفاوضات تحت رعاية الأمم المتحدة، وسيناريوهات مستبعدة كالتدخل العسكري الأمريكي.

إن الزعماء الثلاثة، مادورو وموراليس وأورتيجا، يتشبثون بأساليب لظالما ميزت الأنظمة الشعبوية في المنطقة، كإلقاء نيكولاس مادورو اللوم على الولايات المتحدة الأمريكية، التي تعتبر أصل الأزمة التي تعاني منها فنزويلا،

وأنها تعمل على السيطرة على الحكم في البلاد، من أجل التسلل إلى ثروات البلاد والبتروول على الخصوص.

وفي بوليفيا، نجد أن إيفو موراليس يعمل على إيقاظ الحس القومي في الشارع البوليفي من أجل كسب التأييد وسط المواطنين، باعتباره أول رئيس من السكان اللاتينيين الأصليين، وهذا معطى ساعده على كسب دعم السكان والبقاء في الحكم منذ سنة 2006.

وبالنسبة لدانيل أورتيغا، فهو يستغل الجانب القومي من أجل الحفاظ على دعم السكان، باعتباره زعيما للجهة الساندينية، التي تزعمت الثورة الساندينية وأطاحت بالنظام الدكتاتوري لعائلة سوموزا سنة 1979.

وبالنظر إلى الوضعية الحالية المتأزمة التي يتخبط فيها كل من مادورو وموراليس وأورتيغا، يمكن القول أن الأنظمة الشعبية الثلاثة في طريقها للانهار، على غرار الأشكال الشعبية السابقة، لتكرس بذلك السقوط الفعلي للأنظمة اليسارية في منطقة أمريكا اللاتينية على طول العقد المنتهي.

وتبقي في أمريكا اللاتينية الحالة الأبرز التي شكلت الاستثناء لحد الساعة هي الانتخابات الرئاسية لسنة 2018 في المكسيك، التي فاز فيها اليساري لوبيز أوبرادور، واضعا حدا للسيطرة اليمينية على الحكم في المكسيك. فقد سحب الشارع المكسيكي الثقة عن الحكومة اليمينية بقيادة إنريكي بينيا عن الحزب الثوري المؤسسي بسبب ملفات الفساد، حيث اعتبر % 52 من المواطنين أنها حكومة فاسدة حسب استطلاع للرأي أنجزه المعهد المكسيكي للإحصاءات سنة 2016¹.

خاتمة

إن وعود زعماء الأنظمة الشعبية في أمريكا اللاتينية بالديمقراطية والرفاهية خلال حملاتهم الانتخابية سرعان ما تنهار مع توالي السنين، وهو ما يعكسه حاليا المشهد السياسي في عدد من دول أمريكا اللاتينية، حيث يخيم احتقان كبير

1. Los 5 escándalos de corrupción que distanciaron a Enrique Peña Nieto de los mexicanos, Julia Fregosa, México septiembre 2016, infobae.com

واحتجاجات يومية في الشوارع. ومن المثير أن يتحول القائد الشعبي سريعا إلى شخصية مستبدة لا تترك للشارع خيارات كثيرة سوى التخلص منها. لقد اعتبر الكاتب الأمريكي، فرانسيس فوكوياما، في كتابه بعنوان الهوية، أن هذه الأخيرة تشكل أحد الأسباب المباشرة التي أدت إلى انبعاث الأنظمة الشعبوية مطلع القرن 21، خصوصا بعد انتصار الليبرالية الرأسمالية سياسيا واقتصاديا غداة انهيار الإتحاد السوفياتي والمعسكر الشرقي أواخر الثمانينات من القرن الماضي. وقد أفرزت هذه الهوية صعود أنظمة تدعو للقومية الوطنية ومعاداة العنصر الأجنبي بصفته الآفة وأصل المشكل.

والملاحظ كذلك أن ظاهرة الشعبوية لا يمكن ربطها بإيديولوجية سياسية معينة، فكما أن هناك أنظمة شعبية يسارية اشتراكية، كهوغو تشافيز ورافاييل كوريا وإيفو موراليس، هناك أيضا أحزاب يمينية يمكن اعتبارها ذات توجه شعبي. فهذه الظاهرة تتمحور حول القائد الزعيم، بغض النظر عن إيديولوجية الحزب الذي ينتمي إليه.

وأقول الشعبوية الاشتراكية في أمريكا اللاتينية اليوم، قد يشكل دافعا لظهور شعبية يمينية، لعل شرارتها الأولى تنطلق مع الزعيم اليميني البرازيلي المثير للجدل، جاير بولسونارو.

ملخص لتقرير الوضع الاجتماعي في أمريكا اللاتينية خلال سنة 2018¹

سعيد بنوكر

طالب باحث في سلك الدكتوراه
بجامعة الحسن الثاني عين الشق-الدار البيضاء

أصدرت اللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية والكارايب تقريرها السنوي حول الوضع الاجتماعي في المنطقة. ويتطرق التقرير الذي يغطي سنة 2018 إلى الفوارق السوسيو-اقتصادية بين توزيع الدخل والثروة، حيث ما يزال القضاء على الفقر والفقر المدقع وتقليص الفوارق في جميع أبعادها يمثل تحدياً رئيسياً لبلدان أمريكا اللاتينية. فبالرغم من أن المنطقة حققت تقدماً مهماً في هذا المجال خلال المرحلة الممتدة من سنة 2000 إلى سنة 2014، لكن انطلاقاً من سنة 2015 تم تسجيل تراجعاً بخصوص الفقر المدقع. يبعث هذا الوضع على القلق ويدق ناقوس الخطر خاصة في سياق جهوي يتسم بضعف النمو الاقتصادي وتحولات ديموغرافية عميقة وضعف في سوق الشغل.

وفي هذا السياق، بات من الضروري تطوير وتشجيع السياسات العمومية للحماية الاجتماعية في مجالات سوق الشغل والتي تشمل تدابير الإدماج الاجتماعي والمهني، علاوة على سياسة إعادة توزيع المداخيل، ولهذا يبدو أساسياً حماية الإنفاق الاجتماعي، وتشجيع المؤسسات الاجتماعية والمهنية، إلى جانب إغارة اهتمام خاص للأسباب التي تؤدي إلى الفقر والإقصاء والتهميش وتأثيرها بشكل غير متكافئ على الأطفال والمراهقين والشباب وسكان المناطق النائية والسكان الأصليين والسكان من أصول إفريقية.

خلال السنوات العشر الأخيرة، لعبت مداخيل العمل والمعاشات والتحويلات المالية الموجهة للأسر الأكثر فقراً دوراً محورياً في التخفيض من نسب الفقر

1. CEPAL, Panorama Social de América Latina 2018, Santiago, 2019.

والتفاوت في المداخيل. وابتداء من سنة 2015 عرفت مؤشرات سوق الشغل تدهورا مهما وذلك من خلال ارتفاع معدلات البطالة وتوقف عملية التوظيف الرسمي الذي كان معمولا به في عدة بلدان في السنوات السابقة. في هذا الإطار، تم تشجيع وتوسيع شبكة التغطية الاجتماعية في المنطقة التي عرفت منذ سنة 2000 تحسنا ملحوظا إلى حدود الفترة الحالية، فقد ساهمت في احتواء تدهور الأوضاع وتجنب المزيد من التراجع في مستوى الفقر والفقر المدقع والتفاوت في المداخيل.

كما استعرض التقرير أحدث المعطيات حول اتجاهات الفقر في أمريكا اللاتينية والعوامل المرتبطة بتطوره. فقد انخفضت نسبة الفقر في المنطقة بشكل كبير ما بين 2002 و 2014، بينما خلال سنتي 2015 و 2016 تم تسجيل ارتفاع متتالي في نسبة الفقر حيث تشير إحصائيات سنة 2017 إلى ارتفاع إضافي في نسبة الفقر المدقع، بينما استقرت نسبة الفقر، ومن المتوقع أن يساهم نمو الناتج الداخلي الخام في تسجيل انخفاض طفيف في نسبة الفقر. وقد أكد التقرير من جهة أخرى، أنه بإمكان عشر دول التخفيض من الفقر المدقع إلى حدود 3% وبإمكان 11 دولة التقليل من الفقر إلى حدود النصف في غضون سنة 2030.

نسبة الفقر في منطقة أمريكا اللاتينية والكارايب لسنتي 2017 و 2018

النسبة	2018 توقعات	النسبة	سنة 2017	الفئات
29,6%	182 مليون	30,2%	184 مليون	عدد الأشخاص في وضعية فقر
10,2%	63 مليون	10,2%	62 مليون	عدد الأشخاص في وضعية فقر مدقع

ومن بين العوامل التي ساهمت في ارتفاع معدلات الفقر، التغيير في معدل مداخيل الأسر والتغيير في الطريقة التي توزع بها المداخيل بين الأسر. ولاحظت اللجنة الاقتصادية أن الوضعية تبدو مختلفة في بانما والأوروغواي، حيث هناك ارتفاع في مداخيل الأسر الأكثر فقرا، والتي تشكل مداخيل المعاشات والتحويلات المالية مصدرها الأول، تليها مداخيل العمل. كما يلاحظ ارتفاع طفيف للتشغيل بين الأسر الفقيرة في دول كولومبيا والسلفادور والإكوادور والهندوراس والبارغواي لكون مداخيل الأسر فيها تنأى أساسا من سوق الشغل، بينما في الأرجنتين وكوستاريكا والبيرو تعتبر المعاشات والتحويلات المصدر الرئيسي لارتفاع مداخيل الأسر الفقيرة، أما المداخيل الأخرى فقد كان لها دور مهم في ارتفاع دخل الأسر الفقيرة في الشيلي والأوروغواي وهذا راجع إلى تطور المداخيل المرتبطة ببراء المحلات والمساكن.

وتطرق التقرير كذلك إلى موضوع الإنفاق الاجتماعي للحكومات المركزية الموجه إلى مختلف السياسات الاجتماعية للمنطقة، حيث وصل معدل الإنفاق إلى 11,2% من الناتج الداخلي الخام مسجلا ارتفاعا طفيفا مقارنة مع السنوات الفارطة.

وقد سجل التقرير كذلك تضاعف الإنفاق الاجتماعي للفرد الواحد ما بين 2002 و2016 مسجلا بذلك معدلا وصل إلى 894 دولارا للفرد، لكن يسجل عدم وجود تجانس كبير بين بلدان المنطقة، بحيث وصل المعدل في أمريكا الجنوبية إلى 1175 دولارا للفرد، بينما في دول أمريكا الوسطى والمكسيك وجمهورية الدومينيكان كان في حدود 579 دولارا.











وتناول التقرير أيضا مسألة معدل الإنفاق العمومي الاجتماعي الموجه إلى سياسات سوق الشغل، حيث لوحظ أنه في ستة دول وهي الأوروغواي والأرجنتين والشيلي وكولومبيا وكوستاريكا والمكسيك بلغ الإنفاق سنة 2016 نسبة 0,45% من الناتج الداخلي الخام. والملاحظة أن هناك تباينا وصل إلى عدم

توزيع الإنفاق الاجتماعي للفرد في دول أمريكا اللاتينية خلال سنة 2016	
الدول	الإنفاق الاجتماعي بالدولار
الشيلي	2387
الأوروغواي	2251
البرازيل	1631
الأرجنتين	1469
كوستاريكا	1176
كولومبيا وكوبا وبانما والمكسيك	ما بين 945 و 990
البيرو	646
جمهورية الدومينيكان	552
الإكوادور	472
الباراغواي	450
السلفادور وبوليفيا	310
غواتيمالا ونيكاراكو والهندوراس	أقل من 220

التجانس بين سياسات دول أمريكا اللاتينية التي يتم تحليلها سواء فيما يتعلق بالمستوى أو بالبنية، فبينما تركز الأوروغواي مجهوداتها على حماية دخل العاطلين عن العمل، وتعطي الدول الخمس الأخرى الأولوية لبرامج التكوين والتدريب، وخلق مناصب شغل مباشرة، ومنح حوافز لخلق المقاولات وزيادة الأعمال. وتعتمد هذه الدول الست على أكثر من 40 برنامجا للتكوين ويقدر معدل

الإنفاق عن العمل على هذه البرامج 0,15% من الناتج الداخلي الخام خلال 2016. وتطرق التقرير في جزئه الأخير الى التحديات البنيوية للإدماج في سوق الشغل، فبالرغم من التقدم الكبير الذي عرفته عمليات الإدماج الاجتماعي والمهني، يلاحظ أن المنطقة ما تزال تواجه تحديات كبيرة، مع وجود فجوات شاسعة في التغطية والجودة في بلوغ الحقوق الاجتماعية وكذلك المسار المهني للأشخاص. فمواجهة هذه التحديات أصبحت أساسية وضرورية في المشهد الحالي خاصة أمام التحولات التي شهدها عالم الشغل، فقد تم تسجيل تحسن ملموس في مؤشرات الإدماج الاجتماعي المرتبط بالولوج إلى الترتيب والصحة والبنيات التحتية الأساسية بالرغم من التفاوتات الملحوظة والمسجلة في التغطية وجودة الخدمات. وخلص التقرير إلى ضرورة التأكيد على أن الإدماج الاجتماعي والإدماج في سوق العمل لهما بُعدان أساسيان ومكملان للتنمية الاجتماعية الشاملة لضمان مستوى أساسي من الرفاهية لجميع الناس، وأن السياسة الاجتماعية ينبغي أن تساهم في تقدم هذين المجالين في وقت واحد. ويعد شرطاً للمضي قدماً بثبات نحو الالتزامات التي تم التعهد بها وكذلك لبلوغ الأهداف المسطرة في خطة 2030 للتنمية المستدامة التي شعارها "حتى لا يترك أحد في الخلف".

الاستحقاقات الانتخابية في دول أمريكا اللاتينية خلال سنة 2020

الدولة	انتخابات رئاسية	انتخابات شريعية	انتخابات جهوية أو محلية	استفتاء
البيرو 		26 يناير انتخابات استثنائية		
كوستاريكا 			2 فبراير	
بوليفيا 		3 ماي		
الأوروغواي 			10 ماي	
جمهورية الدومينيكان 		17 ماي	16 فبراير	
المكسيك 			7 يونيو	
البرازيل 			4 أكتوبر	
الشيلي 			25 أكتوبر	26 أبريل استفتاء على تعديل الدستور
الباراغواي 			8 يونيو	
فنزويلا 		6 دجنبر		

يمكن الإطلاع على تقارير السنوات الماضية على موقع

مرصد أمريكا اللاتينية
marsadamericalatina.com

